وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى علوم إنسانية ل.م.د في مقياس:

مدارس ومناهج البحث في العلوم الإنسانية

من إعداد

د/ شتوح احمد عبد اللطيف

السنة الجامعية: 2025/2024

فهــــــــــــــــــــــــــرس المحتويات

مقدمة:...أ

الفصل الأول :_الاتجاهات الفكرية والنظرية

أولا- المدرسة الاسلامية :...05

ثانيا- المدرسة الماركسية والماركسية الجديدة :..08

ثالثا- المدرسة الوضعية :...18

رابعا- المدرسة البنائية الوظيفية:...21

الفصل الثاني :_البحث العلمي

أولا- مفاهيم أساسية حول البحث العلمي :..30

ثانيا- أهمية البحث العلمي و أهدافه :...33

ثالثا- خصائص البحث العلمي :...33

رابعا- معيقات البحث العلمي وصفات الباحث الناجح:..34

خامسا- المراحل والانواع :...35

الفصل الثالث : المنهج العلمي في العلوم الانسانية

أولا- أساسيات في المنهج العلمي :..47

ثانيا- خطوات المنهج العلمي :...49

ثالثا- التصنيفات الحديثة للمنهج العلمي :..56

رابعا- استخدامات المنهج العلمي في العلوم الإنسانية :..70

خامسا- المنهج العلمي بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية..74

خاتمة:.....82

قائمة المراجع:.....83

مقدمة:

لو معنّا النظر في المعرفة العلمية لوجدنا علاقة وطيدة وارتباطيه بين الواقع الاجتماعي و الطرق والوسائل المنهجية المستخدمة التي تشكل المحاور الأساسية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، و التي يسعى مفكروها إلى بناء معرفة علمية تساعد في فهم وتفسير المجتمع وأجزائه وإمكانية التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه، ثم الاستخدامات التطبيقية لهذه المعرفة.

يتضح تقدم المعرفة الإنسانية عموما وتطور العلوم الاجتماعية خصوصا في أسلوب التفكير العلمي، لأن المعرفة الإنسانية ما هي إلا ثمرة الظروف التاريخية والشروط الاجتماعية التي تنتج فيها.

قد اختلف العلماء في تحديد ماهية البحث العلمي، وهذا الاختلاف قائما على الخلفية النظرية وعلى أساس اختلاف الموضوعات المبحوثة والتخصصات العلمية في العلوم الاجتماعية، لذلك هناك مجموعة من التصنيفات للمناهج في العلوم الاجتماعية تعددت من حيث الخلفية النظرية التي تعتمد عليها وطبيعة الموضوعات التي توظف في معالجتها. والملاحظ أن التصنيفات في المناهج تتناول الجانب الفلسفي أو الجوهري من المناهج، لذلك تصنف المناهج إلى فئتين رئيسيتين: **المناهج القائمة على التحليل الكمي للبيانات والدراسات الامبريقية** كالمنهج التجريبي والمنهج الوصفي المسح الاجتماعي، والفئة الثانية تتمثل في **المناهج القائمة على التحليل البنيوي والمقارن** مثل المنهج المقارن والمنهج التاريخي.

وفي هذا السياق يندرج هذا العمل المتواضع في شكل مطبوعة تصنف ضمن المبادرات العلمية للبعد المنهجي والفكري في العلوم الاجتماعية والإنسانية، والتي تتضمن محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى علوم إنسانية واجتماعية في مقياس مدارس ومناهج البحث في العلوم الإنسانية (مقياس سنوي) موزع على سداسيين خلال العام الدراسي، حيث يشمل السداسي الأول أهم المدارس الفكرية والاتجاهات النظرية من المدرسة الإسلامية إلى المدرسة البنائية الوظيفية، والفصل الثاني يشمل البحث

العلمي من مفهومه إلى مراحله وعقباته، أماّ السداسي الثاني تطرقنا إلى طبيعة المنهج العلمي مع أهم تصنيفات المناهج العلمية وطرق استخداماته في العلوم الإنسانية.

وحسب البرنامج الوزاري المقرر حاولنا تسليط الضوء على الجانب العملي للبحث العلمي تماشيا مع قدرات وكفاءات الطالب، كما تمت إضافة بعض التطورات والاتجاهات الحديثة إلى محتوى المدارس.

والشكر لله العلي القدير.

وصف المادة التعليمية

اسم الوحدة : وحدة التعليم الأساسية

اسم المادة: مدارس ومناهج البحث في العلوم الإنسانية

الرصيد: 02

المعامل: 02

أستاذة المادة: د. شتوح احمد عبد اللطيف

المكتسبات (Prérequis):

- استيعاب مدلول المنهج العلمي وأهميته بالنسبة للعلم بصفة عامة وفي العلوم الإنسانية بصفة خاصة.

الهدف العام للمادة التعليمية:

- تمكين الطالب من معرفة المنهج العلمي وأهميته في توجه الإنساني نحو الموضوعية في وصف والتحليل والتفسير.

أهداف التعلم (المهارات المراد الوصول إليها):

- اطلاع الطلبة على جهود العلماء في تأسيس المنهج العلمي.
- تمكين الطلبة من إدراك أهمية المنهج العلمي في العلوم الإنسانية.
- تمكين الطالب من التفكير الموضوعي.
- تمكين الطالب من الاختيار العلمي للمدخل المنهجي المناسب لأبحاثهم المستقبلية
- إكساب الطالب المهارات الأساسية في كتابة البحوث العلمية.
- فهم واستخدام أدوات وأساليب البحث العلمي في مجال تخصصه.

الفصل الأول: الاتجاهات الفكرية والنظرية

أولا- المدرسة الإسلامية:

بفضل التحقيقات والاستقصاءات العلمية القائمة على أسلوب التفكير العلمي والدقة والاستنتاج، سار علماء الإسلام في مختلف فروع المعرفة الإنسانية على هذه الأسس العلمية التي تميز من خلالها التفكير الإسلامي بالموضوعية والأمانة العلمية والبحث عن الحقيقة.

ويرى البيروني أنه على الباحث الاستدلال بالمعقولات وقياس الآراء لمعرفة الأسباب المخفية لصاحبها عن الحق، كالعادة المألوفة والتعصب والتظاهر وإتباع الهوى، فلا يأخذ الباحث إلا ما يوافق العقل. لذلك اعتمد علماء الإسلام الشك والتجربة في البحث العلمي، حيث أوضحت رسائل إخوان الصفا منهج البحث العلمي في صناعة الفكر، ولقد لخص علماء الإسلام المعرفة في ثلاثة أشكال: - المعرفة الشرعية التي تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله، وتتضمن العقائد والعبادات وعلوم القرآن والحديث. - المعرفة العقلية التي نتحصل عليها من خلال العقل والمنطق. - المعرفة التجريبية والتي يتوصل إليها الإنسان من خلال المشاهدة والتجربة.

وعموما احتوى البحث عند العلماء المسلمين، جملة من القواعد والضوابط اللازمة في طلب العلم، مما جعل منهجية البحث في الإسلام تتميز عن غيرها من المنهجيات الأخرى، خاصة في ما يتعلق في التلاؤم بين المنهج والموضوع والتناسب بين المجال المعرفي وإمكانية العقل الإنساني.

فالتلاؤم بين المنهج والموضوع هو من أبرز مميزات المنهجية الإسلامية ونجاحها في تحقيق العلم في كل المجالات، حيث أن لكل موضوع من المعرفة منهج يناسبه، فالبحث في الطبيعة واكتشاف القوانين في الظواهر الطبيعية يلائمة المنهج التجريبي، والبحث في إثبات الأخبار والروايات يلائمه المنهج التاريخي... وهكذا يصبح لكل نوع من المعرفة منهج يلائمه، بحيث تتولد المعرفة الصحيحة من تطبيق المنهج المناسب لكل مجال من مجالات المعرفة.

وبالنسبة للتناسب بين المجال المعرفي وإمكانية العقل الإنساني، فهو ما يميز المنهجية الإسلامية عن المنهجيات الأخرى، لأن الإسلام لا يريد أن يبدد طاقة العقل دون فائدة ولا يريد أن يجز بالعقل في مجالات من البحث فوق قدراته، بما يجعله يتخبط ولا يصل إلى علم صحيح، مثل البحث في الأمور التي استأثر الله بعلمها.

لقد توفر للمسلمين منذ القدم الأسلوب العلمي والمنطقي في البحث، خاصة في مجال العلوم الطبيعية والكيمياء، والطب والصيدلة والعلوم الكونية. ويعتبر الفارابي من المتقدمين في تاريخ الفكر ويصنف من أبرز علماء العرب الذين حاولوا أن يؤسسوا منهجا علميا، وعلى الرغم من أنه تأثر بفكر أرسطو وأفلاطون، إلا أنه حاول أن يدمج كل ذلك بالفكر الإسلامي من خلال كتابه المشهور "آراء أهل المدينة الفاضلة"، والواقع أن الفارابي الذي تأثر بجمهورية أفلاطون وآراء أرسطو السياسية، قد جمع كل ذلك ومزجه بتعاليم الدين الإسلامي ليضع تصوره حول المدينة الفاضلة، إلا أنه لم يؤسس لمنهج معين، لأن تفكيره مزيج من الفلسفة والتصوف وهو أقرب إلى التفكير الفلسفي.

وفي نفس هذا السياق التاريخي الفكري، يعتبر ابن سينا عند الغرب من أعظم علماء الإسلام، وبالنظر إلى ابن الهيثم فقد قلب الأوضاع القديمة وأنشأ علما جديدا أبطل فيه علم المناظر وأنشأ علم الضوء الحديث، وأن أثره في الضوء لا يقل عن أثر نيوتن في الميكانيكا. كما يعتبر البيروني من أهم رواد التفكير العقلاني الذين عرفهم التاريخ. أما ابن رشد فهو من أعجب الشخصيات التاريخية الإسلامية، ويصرح بيكون بأن ابن رشد فيلسوف متين متعمق و صحح الكثير من أخطاء الفكر الإنساني وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة قيمة في التاريخ الفكري الإسلامي.

ليس أي مؤرخ أو مفكر مسلم حظي بالاهتمام والدراسة سواء لدى المستشرقين والباحثين الغربيين أو لدى الباحثين العرب والمسلمين كما حظي ابن خلدون، فثمة عشرات من الأطروحات الأكاديمية والكتب ومئات من المقالات كتبت عن ابن خلدون المؤرخ أو الفيلسوف أو عالم الاجتماع، أو الإبستمولوجي من (زاوية علم المعرفة)، وذلك منذ اكتشاف ابن خلدون في أوربا في القرن التاسع عشر، ومنذ إعادة اكتشاف النهضويين العرب التحدثيين لابن خلدون من زاوية "تشابه مقولات في العصبية

والعمران تعاقب الدول مع مفاهيم التطورية التاريخية، وأيضا من زاوية الإحساس بمدى "تقدم"نظرياته في العلوم وعلاقتها فيما بنيها، ولاسيما في مجالي علم التاريخ وعلم الاجتماع، إذ رأى فيه بعضهم مدخلا إلى مفهوم "الأمة" بالمعنى الحديث ورأى فيه بعضهم أيضا مؤسسا لعلم التاريخ بمفهومه الحديث.

قد طرح العلامة ابن خلدون أكثر من مفهوم مثل البداوة والتحضر والصراع الأزلي بينهما، وقد لاحظ أن أحوال المجتمع تركزت على هاتين الفئتين اللتين تختلفان عن بعضهما البعض في العديد الصفات التي قد تصل إلى درجة التضاد، أما بالنسبة لقواعد البحث والمنهج عنده، فلم ينتقد سابقيه بل قدم بديلا منهجيا للبحث هو على أصالته ودقته إلى اليوم، حيث أشار إلى أن واجبات المؤرخ والباحث في تناول ظواهر العمران تتم على نحو التالي:

أ- لابد من اعتماد الملاحظة المباشرة وما تؤدي إليه التجربة العملية اعتمادا على المنهج التجريبي.

ب- تفسير الظواهر وتحليلها بالاعتماد على منطق التعليل.

ج- الاعتماد على منطق المقاربة أو ما نسميه البحث المقارن.

د- التركيز على قياس الأخبار على أصول العادة وطبائع البشر.

ه- دراسة الظواهر والنظم العمرانية في سياق غيرها من ظواهر الاجتماعية.

وقد ركز ابن خلدون على إلزامية إخضاع الظواهر للملاحظات كانت حسية أو تاريخية.[1]

[1]– معمر داود، **مدخل إلى علم الاجتماع** ،الجزائر، دار طليطيلة للنشر،ط1،2010، ص72.

ثانيا - المدرسة الماركسية والماركسية الجديدة:

هي مدرسة اجتماعية اقتصادية أسسها كارل ماركس قائمة علي الفكر الاقتصادي الاشتراكي، حيث صاحبت الثورة الليبرالية تعاسة كبيرة للطبقة العاملة وبؤس مدقع في أوساطها واستغلال كبير للأطفال والنساء الذين كانوا يعملون في المناجم والمعامل وساعد المستوى المنخفض للأجور أصحاب الأموال من تكديسها أو استثمارها الشيء الذي أدى إلى تقدم اقتصادي كبير على حساب تضحيات اجتماعية وقد عارض هذه الأوضاع كثير من الذين ينزعون إلى التيار الاشتراكي.[1]

- المفكر كارل ماركس:

يعتبر كارل ماركس من أشهر المفكرين والفلاسفة الألمان الذين ساهموا في نمو وتطور علم الاجتماع وتحوله من علم فلسفي غير دقيق إلى علم واضح المعالم والأسلوب والمنهجية والأهداف. ولد في ألمانيا عام 1818م، أكمل دراسته في جامعة جينا الألمانية، وبعد تخرجه من الجامعة وحصوله على شهادة الدكتوراه، عمل صحفيا ونشر العديد من المقالات السياسية والاقتصادية التي يطغى عليها الأسلوب الراديكالي الثوري. ومن خلال مقالاته الصحفية كان يدعو للتغير والثورة وقلب نظام الحكم في ألمانيا بالقوة ونقل السلطة من الملك إلى الشعب، ومثل هذه الكتابات دفعت الحكومة الألمانية إلى طرده من البلاد، فذهب إلى فرنسا وبلجيكا بعد حصوله على اللجوء السياسي هناك، ولكن سرعان ما طردته الحكومتان الفرنسية والبلجيكية عندما علمنا بأفكاره الثورية التي تريد قلب نظام الحكم عن طريق اعتماد أساليب العنف والقوة، فذهب بعد ذلك إلى إنجلترا 1851م بعد حصوله على حق اللجوء السياسي أين مكث فيها بقية حياته. عمل مكتبا في مكتبة المتحف البريطاني، كان يتلقى المساعدات المالية المستمرة من صديقه فريديريك انجلز. وفي مكتبة المتحف البريطاني استطاع كتابة معظم مؤلفاته والتي من أهمها مؤلفه الشهير "رأس المال".

[1]-رفيق حروش، **الاقتصاد السياسي**، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر،ط1، 2011، ص 137.

عموما عاش ماركس في أجواء يسيطر عليها الفقر والحرمان والاضطهاد نتيجة للأفكار الثورية التي كان يحملها والكتابات الاستفزازية الجريئة التي كان ينشرها في الصحف.[1] وكما سبق فإن مؤلفاته قد عبرت جميعها عن أفكاره الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ووضحت طبيعة نظرياته وأطروحاته وقيمه الثورية. فقد تعلم من فخته الأفكار المثالية التي تدعو إلى تقدم روح الجماعة على روح الفرد، ومن هيجل استعار القوانين الشمولية التي ترسم المسارات التاريخية لحركة المجتمعات وتربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

- الديالكتيكا أو الجدلية :

تبنى ماركس مدخلا جدليا ديناميكيا في تفسيره للظواهر و والواقع الاجتماعي، وفي تناوله للمجتمع وعلاقة أجزائه، مفترضا أن المجتمع الإنساني يتطور وفق قوانين، وبهذا يمكن التوصل إلى نظرية علمية تفسر تشكل المجتمع وتطوره. فالتاريخ كما يقول هيجل ويعترف به ماركس هو عملية الخلق الذاتي للإنسان مفادها أن العقل الإنساني هو أساس ومركز الحقيقة، وأن الفكر عملية دينامية دائمة التطور، والفكر كعملية يشمل وجود فكر (قضية) تحمل منطقيا وجود فكرة نقيضة، ويؤدي التفاعل بينهما إلى موقف توفيقي (محصلة) مما يؤدي إلى ظهور نقيض، وهكذا يتطور الفكر من خلال هذه العملية التفاعلية المستمرة بصورة جدلية (ديالكتيكية)، حيث استثمر ماركس هذا الأسلوب الجدلي باستبدال الفكر كأساس لعملية التفاعل والتطور بالوضع الاقتصادي فأصبح الفكر بأنواعه نتيجة للتغيرات الاقتصادية بدلا من أن يكون أساسا للتطور.[2]

ولكن هذه العملية كما يؤكد ماركس في معظم كتاباته تتأثر بالقوى الدافعة للعمل البشري أي بعلاقات الإنتاج والملكية. وقد أخذ ماركس من هيجل المذهب الجدلي في فهم تاريخ الإنسانية وإدراك الحوادث والربط بينها. فجميع المصادر الفكرية التي تأثر بها كارل ماركس قد أعطت طابعا مميزا لكتاباته العلمية وفي إبراز اتجاهاته النظرية

[1]-إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، **المدخل إلى علم الاجتماع**، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2005، ص 136.

[2]- معمر داود، مرجع سابق، ص85.

المتجسدة خاصة في النظرية الاجتماعية والسياسية والتي تركزت في النقاط الرئيسية التالية:

- العلاقة الجدلية بين البناء المادي والبناء الفوقي للمجتمع.

- الاغتراب والصراع الاجتماعي. - الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي. - الثورة الاجتماعية..

لقد اختار ماركس العوامل الاقتصادية كمسبب أساسي لعملية التطور في قوله "أن الإدراك المادي للتاريخ يستخلص الظواهر الاجتماعية وتطورها لا من المشيئة الإلهية والفكر المطلق ولا من إرادة الفكر، بل من الظروف الواقعية لنشاط الناس العملي ومن الإنتاج المادي الذي يشكل مراحل تطوره والتشكيلات الاجتماعية المحددة تاريخيا".

يعتقد ماركس أن البناء المادي للمجتمع أي موارده الطبيعية والبشرية ومصادر رزقه ووسائل استغلاله الطبيعية هو الذي يحدد ماهية البناء الفوقي للمجتمع، أي يحدد أفكار وإيديولوجية وفلسفة ودين وقيم وأخلاق المجتمع. و إذا ما تغير البناء المادي لسبب أو لآخر فإنه يترك انعكاساته وآثاره على البناء الفوقي، وبالتالي يتغير البناء الاجتماعي من نمط لأخر ويدخل المجتمع في مرحلة حضارية تاريخية لم يشهدها المجتمع من قبل. فعلاقات الإنتاج والملكية في المجتمع الإقطاعي تساهم في ظهور أفكار وقيم ومثل اجتماعية تعمل على إهانة العامل وتحتقر المرأة وتحارب مفاهيم الديمقراطية والتقدم، وفي المقابل تحترم رجال الدين والفئة العسكرية. ولكن عندما يسقط النظام الإقطاعي ويحل محله النظام الرأسمالي تتغير أنماط الإنتاج ومستويات المعيشة ونوعية المهن، وهذا التغير يحمل معه قيما وطبقات اجتماعية مختلفة، وهي البرجوازية الرأسمالية، أي ملاك العقارات الذين ينحدرون من طبقة النبلاء الإقطاعيين، البرجوازية الصغيرة والتي تضم الصناع والفلاحين، والبروليتاريا الطبقة العاملة.

وجورج غوريفتش يؤكد أن ملكية وسائل الإنتاج قد تكون من الآثار المترتبة عن تقسيم المجتمع إلى طبقات بدلا من أن تكون أساسا للطبقات، وأن الطبقات السابقة ليست متميزة السمات إلا بالنسبة إلى حقبة معينة من الرأسمالية التنافسية، وأن مسألة وجود طبقات في أنماط المجتمع لا تزال مفتوحة على مصراعيها. كما أن مشكلة الوعي الطبقي و الإيديولوجيا الطبقية تتطلب تحليلا عميقا.

إن الطبقية لم تواجه في الفكر الماركسي إلا نوعين من المجموعات الخاصة: الدولة والحزب السياسي، وهذا من أجل إثبات أن الدولة هي بالضرورة الهيئة السيادية للطبقة، وأن الحزب السياسي هو دائما أداة للصراع الطبقي. فالطبقات والصراع الطبقي بالمفهوم الماركسي يتشكلان على أساس تقسيم المجتمعات إلى مجتمعات مالكة لوسائل الإنتاج أو غير مالكة لها. وبالتالي رفض ماركس دعاوي المفكرين المثاليين أمثال جون ستيوارت ميل بأن الطبقات ليست إلا نتاجا للامساواة في توزيع الدخل، ومن ثم يمكن تخفيف حدة الصراع الطبقي أو حتى إزالته عن طريق التقليل من المداخيل التي يحصل عليها الناس. ومن هذا المنظور يتكون المجتمع الطبقي من طبقات أساسية وطبقات غير أساسية أو ما يمكن تسميته بالفئات الاجتماعية. فالطبقات الأساسية ترتبط بنمط الإنتاج في مجتمع معين من المجتمعات الطبقية أين نجد طبقة ملاك وسائل الإنتاج وطبقة المعدومين المقهورين التي تقف في مواجهة الطبقة الأولى. ففي المجتمع العبودي نجد طبقتين أساسيتين هما طبقة أصحاب العبيد والعبيد، وفي المجتمع الإقطاعي نجد طبقتين أساسيتين هما طبقة الإقطاعيين وطبقة الفلاحين، وفي المجتمع الرأسمالي نجد طبقتي البرجوازية والبروليتارية.

يرى كارل ماركس أن الرأسمالية كطبقة يستحيل عليها أن تحقق تراكما لرأس المال ومزيدا من الثروة ما لم تحصل دائما على فائض قيمة عمل العمال، فالعامل يضطر دائما إلى بيع قوة عمله لأصحاب الأعمال في سوق العمل الذي يحددون قواعده باستمرار، هذا الاستغلال هو أساس الصراع الدائم بين الطبقة الرأسمالية وطبقة العمال. إن الصراع الطبقي هو القوة الدافعة ومصدر التطور في المجتمع الطبقي.

فكلما زادت حدة الصراع وأصبحت الطبقات المستقلة أكثر تنظيما وشدة في صراعها ضد مستغليها كلما كان تطور المجتمع أسرع.

لقد أصبح مفهوم الطبقة الاجتماعية دالا على أهم الوحدات الاجتماعية، والتي تعرف بأنها المجموعة المتماثلة اقتصاديا واجتماعيا من خلال علاقة متماثلة بوسائل الإنتاج، حيث تؤدي إلى بروز طبقتين أساسيتين بين التي تملك مقابل، والتي لا تملك وتعمل في الإنتاج. وهذا لا يعني عدم وجود فئات أخرى، وإنما يعتبرها ماركس جماعات هامشية تتحول ضمن عملية الاستقطاب إلى أحد الطرفين. وتبقى فكرة الصراع الطبقي أزلية في كل المجتمعات عند ماركس.[1]

ويتضمن هذا الطرح ما يلي: - أن ذوي الأوضاع الاقتصادية المتماثلة يميلون إلى العمل كجماعة مصلحة، مما يؤدي إلى العمل المشترك والصراع ضد الطبقة الأخرى.

- أن الطبقات الاجتماعية الاقتصادية هي أهم الجماعات في البناء الاجتماعي، وأن تاريخ علاقاتها هو تاريخ المجتمع الإنساني.

- إن العلاقة الأساسية بين الطبقات هي علاقة تناقض وصراع، وأن ناتج عمليات الصراع هو الذي يقرر كيفية تطور المجتمع.

- أن النظم التي تقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج تحمل بذور التناقض وإمكانية استغلال الإنسان للإنسان. فالنظام الرأسمالي يسمح للمالكين باستغلال الطبقة البروليتارية العاملة، مما يؤدي إلى الصراع فالثورة، لهذا فإن تغير المجتمع من نمط إنتاج قائم إلى نمط إنتاجي جديد يضمن علاقات إنتاج أفضل مما كانت سابقا.

- الثورة الاجتماعية والصراع الطبقي:

الثورة الاجتماعية هي تغيير شامل يمس النظام والمؤسسات الفوقية والتحتية، تقوم به الطبقة المظلومة بعد تعرضها للاستغلال والظلم، لذلك يعتقد ماركس بأن المجتمع لا يمكن تغييره نحو الأفضل ومن ثم إزالة الظلم والتعسف الاجتماعي عنه، إلا

[1]– نفس المرجع، ص86.

من خلال الثورة الاجتماعية التي يمكن أن تقوض أركان نظام الحكم وتقضي على الاستبداد. فالثورة البروليتارية يمكن أن تحرر المجتمع من سيطرة الطبقات الأرستقراطية والبرجوازية، وأن الديمقراطية والعدالة الاجتماعية لا يمكن أن تتحققا في المجتمع دون قيام الطبقة البروليتارية بثورة، لكن هذه الأخيرة المتواجدة في المجتمع الرأسمالي لا يمكن أن تقوم بهذه الثورة وحدها نظرا لتعرضها للظلم والحرمان، وأن انخفاض مقدرتها الاقتصادية والاجتماعية في حاجة إلى عقد اتفاق تكتيكي مع الطبقة البرجوازية الصغيرة والكبيرة للوقوف في وجه الطبقة الأرستقراطية وتدمير مصالحها ونفوذها. وبعد انتصارها على هذه الطبقة تعود من جديد للاتفاق مع الطبقة البرجوازية الصغيرة للوقوف ضد الطبقة البرجوازية الكبيرة. وعند انتصار الطبقة البروليتارية، تعلن العداء المكشوف بوجه الطبقة البرجوازية الصغيرة، وهنا تلغى طبقات المجتمع كافة أين يعمل الإنسان حسب طاقته ويكسب حسب حاجته. فالثورة حسب التحليل الماركسي هي مفتاح التقدم، وحدوثها لا يمكن أن يتم دون وجود الطبقات المتناقضة والمتصارعة والمتزامنة مع الظلم والفساد.

- الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي:

يؤكد ماركس أن الأساس الاقتصادي المادي للمجتمع هو الذي يشكل بناء الوعي الاجتماعي، وأن القوى الأساسية المحركة للتاريخ هي القوى الاقتصادية الاجتماعية وليست القوى الفكرية، وأن علاقات الإنتاج هي أساس الوعي الاجتماعي. فالوعي الاجتماعي في المجتمعات الاشتراكية يختلف عنه في المجتمعات الرأسمالية، وعليه فإن الوجود الاجتماعي المتمثل في النشاط الإنتاجي المادي للأفراد هو الذي يحدد وعيهم الاجتماعي، بمعنى أن الوعي ليس في علاقة سببيه مع الوجود ولكن الوعي يؤثر تأثيرا إيجابيا على الوجود. فالوجود الاجتماعي للأفراد هو الذي يتغير أولا، ثم يتبعه تغير في وعيهم، لكن في ظروف معينة يمكن أن يسبق الوعي الاجتماعي الوجود الاجتماعي، فالأشخاص الذين يقومون بتحليل قوانين المجتمع ويكشفون عن الاتجاهات العامة للتطور التاريخي، يمكنهم أن يتنبئوا بالمستقبل ويشكلوا نظريات تسبق عصرهم وتوضح الطريق للمستقبل.

إن التفسير المادي للمجتمع وتطوره يقوم أساسا على افتراض أن الوجود يشكل الفكر والوعي. وعلى هذا الأساس فإن المستوى التحتي هو أساس تشكيل المستوى الفوقي، وأن أي تغيير فيه يؤدي إلى تغيرات في المستوى الفوقي "فالناس يدخلون في علاقات إنتاج محددة، تعكس مرحلة تطورية معينة القوى المادية للإنتاج... و تشكّل هذه القاعدة الاقتصادية والحقيقية... التي تقرر أوجه الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية" وعليه فإن ماركس قال بأسبقية المادة على الوعي، وبنى علم الاجتماع مثلا على أساس الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي. فالوجود الاجتماعي يتجسد في الظواهر المادية المجتمعية ويشمل نشاط الأفراد الموجه نحو إنتاج المواد والسلع الأساسية لاستمرار الحياة، حيث يتم باستغلال أدوات العمل والتأثير على الطبيعة وتسخيرها لإشباع حاجات المجتمع. كما يشمل هذا الوجود الاجتماعي العلاقات المادية التي تنشأ داخل الأسرة وبين أفراد العائلة وبعض من العلاقات الثقافية واليومية الأخرى. أما الوعي الاجتماعي فهو كلية الأفكار والنظريات ووجهات النظر والمشاعر والأعراف والتقاليد الموجودة في مجتمع من المجتمعات والتي تعكس الوجود الاجتماعي للناس.[1]

- نقد تصورات كارل ماركس:

تستند الماركسية على الفلسفة الألمانية (فلسفة هيجل) والاشتراكية الفرنسية وأفكار سان سيمون والدراسات الاقتصادية. فتصورات الفكرية الماركسية قائمة على منهجين هما المنهج الجدلي والمنهج التاريخي، حيث ساعد المنهج التاريخي على كشف القوانين العامة والقوانين النوعية التطور الاجتماعي، وساعد المنهج الجدلي على التمييز الموضوعي والذاتي في الحياة الاجتماعية وكذلك التمييز بين العام والخاص، الضروري وغير الضروري، الاجتماعي وغير الاجتماعي، وهذا ما ساعد على إكساب علم الاجتماع مثلا طابعه العلمي والنوعي في الوقت ذاته. لكن بالغ ماركس في أهمية العامل المادي واعتبره العامل المحرك للعلاقات وسلوك الأفراد والجماعات، وهذا يتناقض مع الحقيقة والواقع، حيث لا يمكن اعتماد العامل المادي في تفسير

[1]- صلاح الدين شروخ، **مدخل في علم الاجتماع**، مصر، دار العلوم للنشر و التوزيع، 2008، ص 81.

الوجود الاجتماعي بأركانه الذاتية والموضوعية، فهناك علاقة جبلية وتفاعل مستمر بين العالم المادي والمثالي أو القيمي. وبالنظر إلى الصراع الطبقي لا توجد طبقات اجتماعية متخاصمة، فالحدود بين الطبقات ليست واضحة بسبب ظاهرة التغير الاجتماعي، لأن الصراع لا يكون بين الطبقات بل بين أبناء الطبقة الواحدة. وعليه لا يمكن تفسير سقوط المجتمعات بعامل الصراع الطبقي كما ادعى ماركس. فسقوط المجتمعات وانهيارها كانهيار المجتمع الإقطاعي يرجع إلى عد عوامل رئيسية أهمها ظهور المدن وتوسعها، ارتفاع قيمة النقود وقوة الدولة وتطور المفاهيم القيمية والاجتماعية للعصر، إضافة إلى اضمحلال قوة الإقطاعيين وأصحاب الأراضي وعدم سيطرتهم على الفلاحين.

لا يعني التفسير المادي الاقتصادي لتاريخ الإنسان والمجتمع أن المجتمع تحركه الدوافع الاقتصادية وحدها وإنما رأت الماركسية أن العنصر الأساسي هو إنتاج وإعادة إنتاج الحياة الحقيقية، فبعض عناصر البناء الفوقي تستمر حتى بعد زوال الظروف المادية التي أنتجتها.

نستنتج مما سبق أن النظرية الماركسية ذات طبيعة ثورية تدعو إلى العمل على تغيير الواقع الاجتماعي وخلق أوضاع جديدة ومتطورة، ولهذا فإن المدرسة الماركسية في علم الاجتماع تبني مدخل دراستها على بحث الواقع الاجتماعي بناء على الأسس النظرية الكبرى. لاشك أن هذه الافتراضات التقليدية لماركس يشوبها العيب، فقد أكد أهمية المادية الجدلية في مقابل المثالية لهيجل، إلا أنه لم يستطع أن ينكر حقيقة الوعي الذاتي والدور الذي يلعبه في التغير الاجتماعي حقيقة انه لم يوافق على المثالية الفلسفية والتي هي ليست أكثر من مجرد تطور أو فكرة، كما أنه لم يوافق على الوضعية واستخدام تكنيك الفحوص الامبيريقة في العلوم الطبيعة لتفسير السلوك الإنساني أو التغير الاجتماعي، أما للفهم العلمي الذي قبله ماركس للظاهرة الاجتماعية فيستند إلى

أن الإنسان ليس عضو ماديا فحسب بل لديه وعي ذاتي، بمعنى أنه يدرك ذاته، ويدرك موقفه من المادة.[1]

- الماركسية الجديدة:

يطلق مصطلح الماركسية الجديدة أو المحدثة على أولئك المفكرين المتمسكين بالماركسية التقليدية (كما جاءت عند ماركس) كإطار نظري ومنهجي. ولقد لخص عبد الباسط عبد المعطي في كتابه "اتجاهات نظرية في علم الاجتماع" تعريفا إجرائيا للماركسية المحدثة في أن الماركسية الجديدة تستند إلى المفاهيم الماركسية ومنطقها المنهجي والقوانين العامة التي توصلت إليها، وأنها تتعامل مع القوانين النوعية للتطور الاجتماعي. فالنظرية المحدثة هي تلك الآراء التي ظهرت بعد النظرية الماركسية الكلاسيكية للحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، إضافة إلى عدم تحقق تنبؤ كارل ماركس بسقوط الرأسمالية التي ستحل محلها الاشتراكية ثم الشيوعية.

فالماركسيين الجدد قد أثاروا العديد من التفاصيل التي لم يركز عليها كارل ماركس، خاصة في اهتمامهم بدور الأمة والخصوصيات القومية. كما أثاروا أيضا مسألة استغلال المدن للقرى في الدول النامية. فلقد تمحورت محاولات تطوير الماركسية حول إعادة العلاقات الجدلية بين المستوى التحتي والفوقي. فهذا الطرح لم يكن مستمدا من عدم توافق التراث الماركسي مع الواقع الجديد فقط، بل امتدت أسباب ظهور الماركسية الجديدة لتشمل انتقادات الفكر البورجوازي التي تركزت في الاهتمام بدراسة العلاقات الطبقية والثورة، معارضين مفهوم التدرج الذي يخفي العلاقات الدينامية المتناقضة للطبقات. فالماركسية الجديدة تنادي بالأخذ بالمنظور التكاملي والكلي إلا من أخذ بمفهوم ما بعد الحداثة. ومن بين رواد الماركسية المحدثة نذكر: • جورج لوكاش 1885-1971م، فيلسوف وعالم اجتماع ماركسي، حاول وضع نظرية

[1]- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع**، ط1، الناشر المكتب الجامعي الحديث، 1985، ص 233.

ماركسية في علم الجمال، واشتهر بكتابه "التاريخ والوعي الطبقي 1923م" عالج فيه عدة قضايا وشكك في صحة المادية التاريخية كما أدرجها ماركس وفي الوعي المرتبط بالطبقات، وبالتالي فهو ضد التفسير العلمي الماركسي، لذلك قدم آراءه في رواد مدرسة فرانكفورت. إلا أنه اشترك مع ماركس في تبني المنطق الجدلي لهيجل. ومن المفاهيم الأساسية التي تناولها لوكاش في تحليله للمجتمع الرأسمالي مفهوم الوعي والتشيو * وعلاقة كل منهما بالتغير والثورة والعقلانية، حيث يتقابل مفهوم التشيو عند لوكاش بمفهوم الاغتراب عند ماركس، فكلا المفهومين يستخدمان في بحث وتحليل التناقضات في المجتمع.

أنطونيو غرامشي 1891-1937م، مفكر اجتماعي إيطالي، أصبح صحفيا شهيرا نشطا في ميدان السياسة في التيار الماركسي، فهمه مغاير للماركسيين الكلاسيكيين حول البناء التحتي والبناء الفوقي، حيث يجب فهم مثل هذه المقولات بمعنى علاقاتها وفعاليتها التاريخية لا بمعنى وجودها في الواقع. والقضية الأساسية التي ناقشها غرامشي هي قضية الهيمنة والسيطرة من خلال تملك القوة، حيث تبدأ الهيمنة بالانهيار مع تطور وعي الطبقات المحرومة والمستقلة بمصالحها وتشكيل تنظيماتها المستقلة، وتمتد السيطرة على قوى الإنتاج وعلاقاته.

عموما فقد حافظت الماركسية المحدثة على مضمون الماركسية التقليدية مع تعديل جزئي في معنى الصراع حسب المفهوم الماركسي. لذلك يرى الماركسيون المحدثون أن الصراع يحمل مضمون الاحترام للنظام والسلطة، واعتباره أداة للتغير والتحديث. وعليه يمكن التمييز بينهما من خلال الرأسمالية والامبريالية: حيث اقترح لوسيان جولدمان استبدال مصطلح الرأسمالية عند ماركس بمصطلح الامبريالية عند لينين وروزا لكسمبورغ. وامتدادا لهذا الطرح فقد أوضحوا حقيقة الأساليب التي يتبعها الاستعمار الجديد في التعامل مع دول العالم الثالث من أجل الحفاظ على كبار الموظفين.

لم يضع ماركس نفسه تعريفا للطبقة، فالتعريف الشائع هو الذي صاغه **لينين** في أن الطبقات هي جماعات من الناس تحتل مواقع متماثلة نسبيا في نظام الإنتاج الاجتماعي.

ومن وجهة نظر ماركس يتم تحديد الطبقات من خلال موقعها من نظام الإنتاج والتنظيم الاجتماعي للعمل. فالماركسيون الجدد يؤكدون أن ماركس حصر الطبقات في المستغلة والمستغَلة، وأن الدور الثوري للبروليتارية في حاجة إلى إعادة النظر خاصة بعد التطورات التي طرأت على الطبقة العاملة في المجتمعات المعاصرة. وفي هذا السياق نجد مثلا أن **فرانز فانون** حاول إبراز الدور الثوري للفلاحين محاكيا في ذلك تجربة ماوتسي تونغ دون أن ننسى مساندته المطلقة للثورة الجزائرية والمشاركة فيها.

ثالثا: المدرسة الوضعية

- أصول الوضعية:

اسم يطلق على المذهب الوضعي الذي أسسه **أوغست كونت** (1798-1857م) والحركة التي قام بها، فالوضعية بالمعنى العام هي الرأي القائل بأنه مادامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية ولا تتقدم إلا بالملاحظة والتجربة، فإن المحاولات التأملية أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل الغير محدود بالخبرة من الضروري أن يتخلى عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة.

إن الوضعي من الأشياء ما كان متحققا في عالم الحسي والتجربة، وإن كانت أسبابه القصوى وقوانينه التي شرعها الله وفرضها على الطبيعة مجهولة لدينا. فالوضعي مرادف للحقيقي والتجريبي ومقابل للتأملي والخيالي والوهمي، وللإشارة فإن كلمة الوضعية لا تخص أوغست كونت، فكما سبق فقد استخدمت من قبل **دافيد هيوم** و**سان سيمون** قبله، حيث كان هيوم رائدا للمذهب الوضعي وأوغست كونت داعية إليه.

يجتمع الوضعيون على أن عمل الفلسفة هو فهم المناهج التي تتقدم بواسطتها العلوم، وليس السعي إلى معرفة العالم معرفة لا تستند إلى العلوم. ولقد يكون الفرنسي **فرنسيس بيكون** شرف البدء بالوضعية في كتابه في **المبادئ والأصول**، 1623-1624م، فعلى الفلاسفة أن يأخذوا حسبه مبادئ الأشياء كما هي موجودة في الواقع، معتمدين في ذلك على الإيمان بصدق التجارب مع الاعتراف بوجود حقائق أولية دون

أي تصور سابق. فصفة وضعي عنده تطلق على الحقائق وعلى المذاهب التي تقوم عليها. وبسبب التأثر ببيكون أصبحت كلمة وضعي تطلق على مناهج العلوم الطبيعية لاعتمادها على الملاحظة والتجربة، وهذا ما صرح به سان سيمون بأن كل علم لا يسير السيرة ذاتها في الاعتماد على الملاحظة والتجربة عبارة عن علم ظني.

وأما وضعية كونت فكانت أكثر من مجرد فلسفة علم، حيث شكلت جزءا من التراث التجريبي في الفلسفة، وبخاصة عند **دافيد هيوم** الذي برهن على أن المعرفة البشرية الحقيقية تتعلق كلها بأمور الواقع أو بالمنطق والرياضيات. لكن الاستدلال المنطقي أو الرياضي لا يمكنه من تلقاء نفسه أن يخبرنا بشيء عن طبيعة العالم، لأن نتائجه محصورة في إطار ضيق، في حين أن معرفة واقع العالم على خلاف ذلكٍ

إن الثورة الفرنسية ومؤثراتها السياسية والاجتماعية التي عاشها أوغست كونت قد حفزته على وضع الأسس النظامية للمجتمع الجديد الذي يجب أن يتكيف مع روح وتطلعات العصر ونفسية الشعب الفرنسي وطبيعة مشكلات المجتمع والمبادئ الثورية والتحولية التي تسيطر عليه وترسم أطر اتجاهاته المادية والمثالية. لهذا وضع كونت قوانينا اجتماعية وأخلاقية وشرعية جديدة يمكن أن يسير عليها المجتمع الفرنسي، ومثل هذه القوانين اشتقها من عدة علوم أهمها السياسة والاقتصاد والقانون وعلم النفس. وبالتالي شكلت هذه القوانين الصرح المنهجي والموضوعي.

أن تكون النظريات الاجتماعية قادرة على التغير تبعا لتغيير الظروف والظواهر الاجتماعية والسلوكية. وهذا يعني ضرورة تميز النظريات الاجتماعية بالنسبية والمرونة وابتعادها عن صفة التعصب والتحيز. من ناحية المنهجية أراد أوجست كونت أن يدرس الظواهر الاجتماعية بروح المذهب الوضعي، وهذا التصور في الحقيقة يعكس لنا نظرته إلى المجتمع بوصفه ظاهرة طبيعية تخضع لقوانينها الذاتية شأن الظواهر الكونية الأخرى.[1]

[1]– معمر داود، مرجع سابق، ص73.

- أهم افتراضات الوضعية:

استعان كونت في نظريته الاجتماعية بالعديد من المصطلحات العلمية مثل **السكون** أو الثبات الاجتماعي **والديناميكية** أو **التغير الاجتماعي**. ويعني كونت **بالسكون** أو **ستاتيك الاجتماعي** تلك العلاقة بين الظواهر الاجتماعية وتكامل بعضها مع البعض خلال نقطة زمنية محددة، وتداخل المؤسسات وأداء كل منها وظائفه المحددة. حيث يتجسد هذا التكامل في اجتماعها وتضافرها من أجل خدمة الأفراد والجماعات لتحقيق التماسك والترابط، مما يجعل المجتمع موحدا وقويا وقادرا على تحقيق أهدافه القريبة والبعيدة. ويعني كونت بالديناميكية أو التغير الاجتماعي، تغير مؤسسات المجتمع بمرور الزمن نتيجة تغيرات تحدث في بعضها أو جميعها، بسبب عوامل طبيعية أو إنسانية مقصودة أو غير مقصودة. فتغير مؤسسة معينة يؤثر بالضرورة على بقية المؤسسات الأخرى أين يتبتل البناء الاجتماعي ويمر المجتمع من مرحلة حضارية إلى مرحلة أخرى تتسم بالتقدم والنمو والفاعلية، مثل تقدم المجتمع من مرحلة التفكير الفلسفي إلى مرحلة التفكير العلمي الواقعي.

كما يرى كونت بأن التضامن الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق بصورة كاملة، إلا إذا وجه المسؤولون عنايتهم واهتمامهم بإصلاح نظام التربية والتعليم ونظام الأسرة والنظام السياسي. فالتعليم يضبط الغرائز الفطرية ويهيمن عليها ويحول طاقاتها نحو منافذ تخدم الحضارة والمجتمع، كما أنه يهذب المشاعر الإنسانية ويسمو بمدركات الفرد وتصوراته وأحكامه، مما يدفع الإنسان على تقوية علاقاته الاجتماعية بالآخرين.

- نقد المدرسة الوضعية:

يظهر القصور أو الضعف عند تطبيق المذهب الوضعي على ما يتعلق بالحياة الاجتماعية الإنسانية، لذلك كان على المذهب الوضعي أن يتجاوز مشكلة التمييز بين ما هو إنساني وما هو مادي، ذلك التمييز الذي عبرت عنه الآراء بطرق جد متنوعة ومختلفة، وهو يحتل أهمية كبرى في تاريخ الفكر بما ينطوي عليه من مضامين قانونية ودينية وأخلاقية وسياسية. كما أن هذا التمييز يدعي أن كل ما هو إنساني وروحي

وعقلي أو ذهني، إما يمثل نظاما للظواهر يختلف عن نظام الظاهرة المادية، ولا يمكن أن يفهم بواسطة الطرق الملائمة لذلك النظام الآخر.

إن اختزال كل ما هو إنساني إلى مجموعة من المظاهر ذات الطبيعة المادية، يحول الحياة الإنسانية إلى فرع من الكيمياء أو البيولوجيا. بينما لجأ آخرون إلى بناء أنساق نظرية كبرى تشتمل على علم الحياة، علم النفس، علم المناخ والجغرافيا وعلم الاجتماع، اعتمادا على فكرة مفادها أنه طالما كانت تلك العلوم وغيرها جزءا من الحياة الإنسانية، فهي تعد جميعا ذات أهمية في فهم الحياة في مجملها، وهناك طائفة أخرى ذهبت إلى ادعاء أن الظواهر الإنسانية والاجتماعية هي ظواهر واقعية مثلها في ذلك مثل الظواهر المادية. فالعلم يتميز بأنه **امبريقي** لكنه أيضا نظري إلى حد بعيد، وليست القوانين مجرد تعميمات **امبريقية** سببية، بل هي قضايا مترابطة ترابطا عقليا.

رابعا: المدرسة البنائية الوظيفية

- تصورات المدرسة البنائية الوظيفية:

تدرس وجهة النظر الوظيفية التي تؤديها عملية ما في حياة الفرد من جهة التركيب أي من جهة صلة هذه الظواهر بالكائن العضوي في جملته ومن جهة قيمتها بالنسبة إلى تكيفه بالبيئة الطبيعية والاجتماعية كمعنى اللعب بالنسبة للاعب أي الحاجات التي تشبعها الظواهر بالنسبة إليه وذلك عن طريق القوى الدافعة إلى السلوك.[1]

أما المعنى الثاني للوظيفة فيقصد به الترابط والتكامل بين المتغيرات والعناصر التنظيمية. إذن هناك علاقة مباشرة بين الوظيفة التي هي نتيجة لنظام اجتماعي معين والوظيفة التي هي ترابط بين متغيرات مختلفة.

أستخدم مصطلح وظيفي في القرن التاسع عشر ميلادي مع علماء أمثال أوغست كونت و هربرت سبنسر اللذان شبها المجتمع الإنساني بالكائن الحيواني من حيث أنها

1 - دينكن ميتشل : **معجم علم الاجتماع** ، تر: إحسان محمد الحسن ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 ، ص 129 .

تتضمن سبب الظاهرة ووظيفتها. ولكن الاتجاهات الوظيفية الأولى برزت في الفترة ما بين 1920-1940م بسبب التغيرات الجذرية في مجالات الأنثروبولوجيا الحضارية والاجتماعية، وبخاصة في أبحاث العالم البولندي **مالينوفسكي** الذي حلل المجتمعات البدائية بأسلوب آلي إلى عناصرها الأولية، وفسر المؤسسات الاجتماعية بالنسبة إلى علاقتها بالمؤسسات الأخرى في المجتمع البشري الواحد. ووضح أهميتها في إشباع وسد الحاجات الضرورية خاصة البيولوجية.

كما قام البريطاني **راد كليف براون** بتشبيه الحياة الاجتماعية بالحياة العضوية، حيث أجرى دراسات عميقة حول التمييز بين **المورفولوجي الاجتماعية** التي تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية الكامنة في البناء الاجتماعي، **والفيزيولوجية الاجتماعية** التي تدرس جميع الظواهر الاجتماعية الكامنة في قطاعات المجتمع دراسة كلية ترابطية. وفي الفترة ذاتها انصب الاهتمام على الفكرة المجردة للأنظمة الاجتماعية بنظرة شمولية عامة، معتبرة إياها أنظمة متصلة ومترابطة. وهو الطريق الذي سلكه العالم **تالكوت بارسونز** في تحليلاته الاجتماعية، حيث تتميز الوظيفية البنائية حسبه بقيامها بتثبيت الحدود بين النظام الاجتماعي والأنظمة الأخرى، وكذلك بقدرتها على وضع الحدود التجريدية والتاريخية بين الوحدات البنائية الرئيسية للنظام الاجتماعي، مع التأكيد على العلاقات الأخلاقية بين الوحدات، إضافة إلى اهتمامها المتزايد بالظروف والعوامل التي تساعد على استقرار وتكامل وفاعلية النظام الاجتماعي المطلوب دراسته.

إن نشأة الاتجاه الوظيفي واتساع نطاقه قد تأثر إلى حد كبير بالاهتمام الواضح من طرف العلماء بفكرة الوظيفة، وقد تحددت معالمها في إطار علم الاجتماع (كنزعة سوسيولوجية)، غير أنها كانت واضحة وسابقة في علم البيولوجيا وعلم النفس والانثروبولوجيا الثقافية، ففي علوم البيولوجيا تدور الوظيفية حول فكرة مؤداها أن كل عضو أو جزء من نسق يطلق عليه كائن عضوي يؤدي وظيفة أو وظائف أساسية لبقائه، كما يؤدي هذا العضو بدوره وظائف للنوع الذي ينتمي إليه باعتباره يمثل نسقا يتألف من مكونات متناسقة ترتبط في ما بينها ارتباطا وظيفيا.

إذن تدرس وجهة النظر الوظيفية، الوظيفة التي تؤديها عملية ما في حياة الفرد من جهة التركيب، أي من جهة صلة هذه الظواهر بالكائن العضوي في جملته، ومن جهة قيمتها بالنسبة إلى تكيفه مع البيئة الطبيعية أو الاجتماعية كمعنى اللعب بالنسبة للاعب، أي الحاجات التي تشبعها الظواهر بالنسبة إليه، وذلك عن طريق القوى الدافعة إلى السلوك.

مما سبق، فإن مفهوم الوظيفة هو مفهوم قديم في علم الاجتماع، حيث بدأ التفكير فيه مع هربرت سبنسر وتواصل مع أوغست كونت وتطور مع إيميل دوركايم ومع سان سيمون، كل هؤلاء هم من المدرسة الوظيفية الفرنسية. وعليه فإن المرجعيتين (الطبيعية والبيولوجية) قد أرستا مبدأ أساسيي انطلقت منه النظرية الوظيفية هو: أن المجتمع مثل الجسم البشري كلية متكاملة، وأن كل عضو من أعضاء هذا الجسم لا يمكن فهمه إلا في إطار كلية.

يعد مصطلح البنية الاجتماعية من المصطلحات الأساسية المستعملة في المدرسة الوظيفية البنائية، حيث يستعمل علماء الأنثروبولوجيا مصطلح البنية الاجتماعية بصورة مترادفة مع مصطلح المنظمة الاجتماعية، كما شاع استعمال هذا الاصطلاح في علم الاجتماع لكن لم يكن دقيقا ومضبوطا من ناحية المعنى والأهمية. ففي بعض الأحيان يستعمل اصطلاح البناء الاجتماعي ليعني انتظام السلوكية الاجتماعية وذلك لتكرارها من فترة إلى أخرى مع اتخاذها نفس النماذج والظواهر الفعلية. وأحيانا يستعمل هذا الاصطلاح في صورته الواسعة ليعني التنظيم الشامل للعناصر والوحدات التي يتكون منها المجتمع، كالمنظمات والمؤسسات. ويستعمل هذا الاصطلاح بكثرة في النظرية البنائية الوظيفية التي تعتبر من النظريات الحديثة لعلم الاجتماع المعاصر. والاصطلاح يعني هذا العلاقة المتداخلة بين المراكز والأدوار الاجتماعية، فالتفاعل الذي يقع بين الأشخاص داخل النظام الاجتماعي، يمكن التعبير عنه من خلال المراكز والأدوار الاجتماعية التي يشغلونها. فعندما تكون الأدوار الاجتماعية مدعومة من قبل السلطة ومقبولة من قبل الأفراد الذين يستغلونها، تتحول إلى مؤسسة اجتماعية لها قيادة وأحكام وقوانين معينة. إذن المؤسسة الاجتماعية هي من التنظيمات الأساسية التي

تساعدنا على فهم الفرد بعد فهم طبيعته وسلوكه وعلاقته مع الآخرين. لذا يمكن اعتبار الأدوار الاجتماعية بمثابة الوحدات البنائية لتكوين المؤسسة والبناء الاجتماعي، وفي المقابل يمكن اعتبار البناء الاجتماعي بمثابة علاقات متداخلة تربط مؤسسات المجتمع ببعضها البعض. وهنا يمكن تعريف البناء بأنه مجموعة من العلاقات التي تقوم بين الوحدات، ويظل الكائن الحي محافظا على نوع معين من الاستمرار في البناء كلما كان حيا.[1]

1- أبرز رواد المدرسة البنائية الوظيفية:

هربرت سبنسر (1820-1903م)، يتصور المجتمع كائنا عضوا في ثلاثة عناصر: (التصور الكلي للمجتمع علاقة الجزء بالكل/ التطور والانحلال الذي يخضع له النموذج المجتمعي وأسباب كل منهما). بهذا الطرح، فإن سبنسر قد وضع أسس التصور الوظيفي الذي أخذ عنده طابقا بيولوجيا، وهو الطابع الذي اختزله دوركايم بعد ذلك واستبدله بطابع اجتماعي لازم الاتجاه الوظيفي. وقد لاحظ سبنسر عديدا من أوجه التشابه بين الكائنات الاجتماعية والكائنات العضوية كالآتي: - يتميز كل من المجتمع والكائنات العضوية من المادة الغير عضوية بالنمو الواضح خلال الشطر الأكبر من وجودها، فالرضيع ينمو حتى يصبح طفلا فرجلا، والدولة تصبح امبراطورية. - تنمو كل المجتمعات والكائنات العضوية وتتطور في الحجم كما تنمو في درجة تعقدها البنائي. - يؤدي التطور سواء في المجتمعات أو الكائنات العضوية إلى تباينات في البناء والوظيفة.

كما تركزت اهتماماته حول دراسة عمليات التغيير وتطور المجتمعات الإنسانية، حيث تناول تطور المجتمع قياسا بتطور الكائنات الحية، فالمجتمع الإنساني قد تطور من الأشكال البسيطة إلى أشكال أكثر تعقيدا، ومن أشكال على درجة متدنية من التباين البنائي وتقسيم العمل إلى مجتمعات معقدة البناء تقوم على التخصص.

1 – مجد الدين عمر خيري، **علم الاجتماع الموضوع والمنهج** ، دار المجدلاوي، عمان ، 1999 ، ص 129 .

كان سبنسر السباق في وضع بعض أسس نظرية التطور (وقد استفاد داروين من هذه الأفكار)، كما آمن بقوانين الطبيعة وبأنها جاءت لغاية أساسها التخلص من الضعفاء واستمرار الأقوياء مثلما ينعكس ذلك في مبدأ الصراع والبقاء للأصلح. فكانت أفكاره أساسا للنظرية الداروينية الاجتماعية.

واقترح الفيلسوف سبنسر صيغة فريدة وهي التكامل والتمايز أو التغاير مع تجنبه للفكرة الجبرية، واعترف بفكرة التحلل الغير متشابه، كما وضح بأن التطور هو بحث دائم عن توازن جديد وأن المجتمع ما هو إلا كل عضوي، وأن الرابطة بين الأجزاء المشكلة للكل تتشكل من إسهامات تلك الأجزاء.

إيميل دوركايم (1858-1917م)، ارتبطت الوظيفية بشكل دقيق بأعماله التي طرحت التفسير الوظيفي، وفي بداياته الأولى التصق دوركايم بالنظرية العضوية التي أخذها عن هربرت سبنسر الذي كان يماثل أو يناظر بين الإنسان والكائن الحي، وبذلك يعد أول من قام بصياغة منهجية لهذه المماثلة وفقا المعيار الوظيفية، حيث يرى أن الحياة الاجتماعية تعد التعبير الوظيفي للبناء الاجتماعي. فتأثيرات سبنسر في الوظيفية تجد امتدادها عند دوركايم في الكثير من أبحاثه، مثل "تقسيم العمل الاجتماعي" و"الإشكال الأولي للحياة الدينية". لقد حاول دوركايم أن يفرغ المماثلة العضوية من محتواها البيولوجي ويكسبها معنى اجتماعي، وهو بذلك يتبنى فكرة أن يكون الكل ناتجا عن أجزائه كما يقول سبنسر، ويرى أن الكل يخلق أجزاءه، بحيث تفوق هذه الأجزاء مكوناته، وأن هذه المكونات لها حاجات وإشباعات محددة. ويحدد إميل دوركايم معالم الوظيفية وفقا لما يلي:

- رؤية المجتمع أنه نسق أو وحدة كلية تتألف من مجموعة من الوحدات المرتبطة مع بعضها البعض.

- يسعى المجتمع بشكل عام باعتباره نسق إلى إيجاد حالة من التوازن العام.

- ثمة وجود واقعي وتصوري للمجتمع، وأن هناك اتفاق عام على القيم والمعايير من جانب أعضاء المجتمع.

- أن الاتفاق على القيم والمعايير بين أفراد المجتمع يمثل الهدف النهائي للنظام العام.

- أن تحليل البناء الاجتماعي وما يحويه من نظم وجماعات وفئات اجتماعية ينبغي أن يتم في إطارتحقيق استمرارية المجتمع وكذا في إطار نموه التطوري.

إن إيميل دوركايم يميل إلى جعل مفهوم الوظيفة مفهوما نسبا خاليا من الحتمية، فإذا لم يكن من الضروري اعتبار كل وظيفة تعبيرا عن حاجة الجسم، فليس من الضروري أن تكون لك حاجة وظيفة في الجسم.

راد كليف براون (1881-1955م)، عالم إيطالي انثروبولوجي اجتماعي، زاول دراسته في جامعة كمبريدج أين كان أستاذا بها، تأثرت أفكاره وآراؤه بكتابات أوغست كونت و إيميل دوركايم، وهو ما جعله يبرز في حقل علم الاجتماع المقارن الذي يستنتج المبادئ الأساسية المفسرة للعلاقات الاجتماعية ليتم توظيفها في دراسته للأنظمة الاجتماعية المختلفة ودراساته المقارنة.

تعني الوظيفية عنده النظر إلى الحياة الاجتماعية باعتبارها كلا اجتماعيا، فهي تشكل وحدة كلية وظيفية، وبالمفهوم المعاصر فالوظيفية تشير إلى أن المجتمع هو نسق، والنسق هو أداة تصورية تحدد علاقات المجتمع في إطار الكل بمجموعة من المبادئ التنظيمية التي تستند إلى التساند الوظيفي والتفاعل بين أجزاء النسق وبعضها البعض. لذلك فإن نظرية راد كليف براون تشبه في خصائصها نظرية دوركايم ومدخلا في دراسة الظواهر الاجتماعية الثقافية، إضافة إلى شروط التماسك والتضامن الاجتماعي، حيث شكل هذا المدخل أساس الافتراض البنائي الوظيفي الذي يؤكد مضمونه على الأنساق الاجتماعية التي تحافظ على بقائها لفترات طويلة في حالة الثبات ولتوفرها على درجة عالية من التماسك والتضامن، وهذا ما يؤكد لنا مدى إيمانه بالبناء الاجتماعي كوجود موضوعي منفصل عن الوجود الفردي (فهو يعترض حول استخدام المماثلة العضوية بين ما هو اجتماعي وبيولوجي)، لذلك نجده يعتقد بأن الأداء الوظيفي هو ذلك الإسهام الذي يؤديه النظام في دعم البناء الاجتماعي.

تالكوت بارسونز (1902-1979م)، شغوف بالتنظير والتأويل وصياغة المفاهيم وتنظيم الأفكار السابقة والتأليف والتركيب، عمل على تطبيق نظريته حول النسق الاجتماعي في دراسة التنظيمات من خلال المساهمة التي قدمها في مقالة له بعنوان "مقترحات لأجل منظور سوسيولوجي لنظرية التنظيمات"، حيث اعتبر التنظيم نسقا مفتوحا، بمعنى أن التنظيم والبيئة هما مسلمتان.[1]

إن علماء الاجتماع الوظيفيين الذي ساروا على نهج بارسونز، جعلوا من الاستقرار الاجتماعي الهدف النهائي للتحليل السوسيولوجي، وهذا يعني أنهم يركزون في المقام الأول على الظروف التي تؤدي إلى علاقات اجتماعية مترابطة وإلى الإدماج السريع والسهل للعديد من الأجزاء المفصولة في المجتمع وترتيبها في وحدة مترابطة. كما أن رؤيته للمجتمع كنسق وتصوره بأنه عبارة عن وحدة كلية تضطلع بدورها الوظيفي، فهذا يعني أن هناك مجموعة من الأنساق الفرعية المكونة لهذا المجتمع تعمل على مواجهة المستلزمات الوظيفية الآتية:

- التكيف، ويضطلع به النسق الاقتصادي الفرعي.
- تحقيق الهدف، ويقوم به النسق السياسي الفرعي.
- التكامل، ويعمل على تحقيق الروابط الاجتماعية القائمة.
- المحافظة على النمط أو خفض التوتر، ويكون من نصيب المؤسسات الثقافية ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.

روبرت ميرتون (1910-2003م)، عالم اجتماعي أمريكي ولد في جنوبي فيلادلفيا في الولايات المتحدة الأمريكية لعائلة يهودية من أصل أوربي، ارتبط منذ صغره بالموسيقى والحياة الثقافية وتوجه نحو الفنون، حصل على الدكتوراه عام 1936م من جامعة هارفارد وأصبح واحدا من أعضاء الهيئة التدريسية فيها، كما عمل في جامعة كولمبيا وأصبح أستاذا فيها عام 1947م.

يعتبر مقاله " Toward the codification of Functional analyses in Sociology

1 – نفس المرجع ، ص 159.

أهم ما كتب فيه من نقد للبنائية الوظيفية، وذلك من خلال ثلاث مسلمات يتصف بها التحليل الوظيفي وهي:

- الوحدة الوظيفية للمجتمع، بمعنى أن أجزاء النسق الاجتماعي تتمتع بدرجة عالية من التكامل. (المجتمعات البدائية الصغيرة تختلف عن المجتمعات الكبيرة المعقدة، لذا ينبغي عدم تعميم هذه المسلمة.)

- الوظيفية الشاملة، بمعنى أن كل الأشكال والبنى الثقافية والاجتماعية في المجتمع تقوم بوظائف إيجابية، وهذا قد يكون مخالفا للواقع الاجتماعي.

- ضرورة وجود الأجزاء، بمعنى أن الأجزاء المكونة للمجتمع لا تقوم بوظائف إيجابية فحسب، بل هي تمثل عناصر ضرورية لعمل المجتمع ككل.

ولقد اختلف ميرتون مع أستاذه بارسونز في حول التركيز على النسق، ويبرز ذلك من خلال تصميم نموذجه في التحليل الوظيفي، ففيه لا ينطلق من تحليل الأنساق الاجتماعية ولكنه يبدأ بتحليل الوحدات التي تأخذ شكلا معقدا مثل الأدوار الاجتماعية، الأنماط التنظيمية، العمليات الاجتماعية والأنماط الثقافية. ويرى ميرتون أن التغيرات التي تطرأ على شخصية أعضاء التنظيم تنتج من قبل عوامل مختلفة داخل البناء التنظيمي.

- نقد المدرسة البنائية الوظيفية:

إن الانتقاد الموجه لرواد المدرسة البنائية الوظيفية حول أنهم لم يهتموا بعملية التغير وتركيزهم فقط على الاستقرار في المجتمع، بالرغم من أن التغير هو جزء من طبيعة المجتمع، فهم لم يحاولوا تفسير أسباب تغير المجتمعات. فهذه الحركة تعبر عن جدل داخل هذا الاتجاه، فقد تميز التصور العضوي الوظيفي الذي قدمه هربرت سبنسر بالطابع البيولوجي من ناحية والفردي من ناحية أخرى، وكذا الأمر بالنسبة إلى دوركايم الذي قام بتجريد التصور العضوي لهربرت سبنسر وفصله من جذوره الفردية والبيولوجية وأضفاه على المجتمع الذي رأى أن تكامل أنساقه ونظمه يجعل منه كلا عضوا، هذا الكل هو الذي يتولى صياغة أفراده على هيئته وهويته، وبذلك قلب المعادلة فجعل المجتمع قاعدة للفرد ومنبعا لجذوره.

الفصل الثاني: البحث العلمي

أولا- مفاهيم أساسية حول البحث العلمي:

أ- مفهوم العلم:

العلم في اللغة نقيض الجهل، وعلمت الشيء علما، أي عرفته. ويأتي العلم بمعنى الفقه، فالعلم بالشيء هو الفقه فيه. واليقين هو العلم، فكل يقين علم وليس كل علم يقين. ذلك أن اليقين علم يحصل بعد استدلال ونظر، بينما قد يحصل العلم دون ذلك. و العلم هو نوع من المعرفة، والمعرفة نوعان، معرفة عامية: من خلال المشاهدة والمعاشرة والتعامل اليومي. ومعرفة علمية: أي ، دقيقة لا تستند إلى الحدس والاحتكاك فقط، بل أيضاً عن طريق التعلم و التحليل المنهجي والشامل للموضوع محل الدراسة. **فالعلم يقوم بدراسة وتحليل الظواهر لاكتشاف حقائق جديدة أو علاج مشكلات أو تقرير قضايا.**

والعلم في المنظور الحديث يحمل مفهوما عاما يشمل، النظريات والتطبيقات العملية، للمعارف المنظمة التي تم جمعها وتصنيفها أو اكتشافها وتطويرها، ودراسة العلاقة بينها ضمن مناهج وطرائق محددة، والعلم بذلك يعتبر أحد فروع المعرفة، ويهتم بتنسيق الحقائق وترسيخها بواسطة التجارب والفروض، في الميادين المختلفة. والعلم لا يتعلق بدراسة ظاهرة ما، بل بدراسة جميع الظواهر الإنسانية في شتى الميادين.

ويعرف عبيدات وآخرون العلم بأنه "نشاط يهدف إلي زيادة قدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة"، فهو نشاط إنساني موجه إلي وصف الظواهر التي يدرسها، ويصنفها إلي أنواع. ولا يقتصر العلم على وصف الظواهر بل يهدف أيضاً إلي اكتشاف العلاقات بين الظواهر المختلفة، كما يهدف أيضاً إلي التنبؤ بالمستقبل وتقديم التوصيات، وحل المشكلات بناء على الأسلوب العلمي المنطقي التحليلي.[1]

[1] - اللحلح ومحمود مصطفى أبو بكر ، **كتاب البحث العلمي، تعريفه – خطواته – مناهجه – والأساليب الإحصائية** الإسكندرية، الدار الجامعية،2002 ، ص 21.

ب- مفهوم البحث العلمي:

البحث لغة معناه أن تسأل أو تطلب أو تستخبر عن شيء معين، واصطلاحا هناك عدة تعريفات من بينها: (البحث العلمي تجميع منظم لجميع المعلومات المتوفرة لدى الباحث عن موضوع معين وترتيبها بصورة جديدة بحيث تدعم المعلومات السابقة أو تصبح أكثر نقاءا ووضوحا.) كما عرف أيضا بأنه (وسيلة للاستفهام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتبع في هذا الاستعلام والاستقصاء خطوات المنهج العلمي واختيار الطرق والأدوات اللازمة للبحث. كما يعرف بأنه (المحاولة الدقيقة للتوصل إلى حل المشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره.

البحث العلمي هو نشاط إنساني لا غنى للفرد ولا للمجتمع عنه. والبحث يشير إلى الجهود المبذولة لاكتشاف معرفة جديدة أو لتطوير عمليات أو منتجات جديدة. ومهمة البحث هو التحقق من موضوع معين بصورة منتظمة أو منهجية. و هذا النشاط يقوم على أساسٍ من التحقق والملاحظة الدقيقة وجمع البيانات وتحليلها بالطرق المناسبة. كما أنه يعتمد المقارنات والموازنات ودراسة الأسباب والمسببات والتعرف على أساليب العلاج، متجاوزا بذلك مرحلة التجربة والخطأ. وكثيرا ما يؤدي البحث في فرع من العلوم إلى تسهيل البحث في فرع آخر، إذ هناك ترابطا بين فروع العلوم المختلفة.[1]

وهناك تعريفات متعددة للبحث العلمي، وقد عرض عبيدات في كتابه مجموعة من التعريفات كالتالي:

يعرف (دالين) البحث العلمي بأنه: "محاولة دقيقة ومنظمة ونافدة للتوصل إلي حلول لمختلف المشكلات التي تواجهها الإنسانية وتثير قلق وحيرة الإنسان.

ويعرفه بولنسكي"Polansky": بأنه استقصاء منظم يهدف إلي اكتشاف معارف والتأكد من صحتها عن طريق الاختبار العلمي.

[1] - نفس المرجع، ص 54.

ويعرف أيضا بأنه: البحث النظامي والمضبوط والتجريبي عن العلاقات المتبادلة بين الحوادث المختلفة.

أما "" Whitney فيعرفه بأنه: "العمل الفعلي الدقيق الذي يؤدي إلي اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التأكد من صحتها"[1].

ويعرفه عبيدات أيضا بأنه: " مجموعة الجهود المنظمة التي يقوم بها الإنسان مستخدماً الأسلوب العلمي وقواعد الطريقة العلمية ، في سعيه لزيادة سيطرته على بيئة واكتشاف ظواهرها وتحديد العلاقات بين هذه الظواهر".

ويعرفه آخرون بأنه: جهد علمي يهدف إلي اكتشاف الحقائق الجديدة والتأكد من صحتها وتحليل الحقائق المختلقة. الضوابط التقييمية، وتشمل المؤشرات والمعايير التقييمية لكشف صلاحية البحث للمشكلة أو الظاهرة المبحوثة من قبل الباحث.

ثانيا- أهمية البحث العلمي و أهدافه :

ويمكن ذكر أهمية البحث العلمي وأهدافه في النقاط التالية:

يفتح البحث العلمي آفاقاً واسعة أمام الباحث لاكتشاف الظواهر المختلفة، في مجال العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية، بالاعتماد على مصادر المعلومات والبيانات الأولية والثانوية. وقد أنشأت الدول المتقدمة مراكز للأبحاث والدراسات.

البحث العلمي هو الوسيلة التي تستطيع المجتمعات بواسطتها اجتياز العقبات، والتخطيط للمستقبل وتفادي الأخطاء.

ولذلك فإننا نجد الدول النامية تستخدم البحث العلمي لتقليص الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة.

البحث العلمي نشاط إنساني يهدف إلي فهم الظواهر بالتعرف على الواقع، ودراسة العلاقات بين المتغيرات وبناء النماذج والعمل على التنبؤ بالمستقبل، ثم إيجاد الطرق المناسبة لضبط الظواهر أو التحكم بها وبناء عليه فقد ذكر العلماء ثلاث أهداف للبحث العلمي:

[1] - محمد عبد الباسط حسن، **أصول البحث الاجتماعي**، مكتبة وهبة، مصر، 1975، ص123.

الفهم، ونقصد به اكتشاف طبيعة ظاهرة إنسانية مع الأخذ بعين الاعتبار المعاني المعطاة من طرف الأشخاص المبحوثين.[1]

دراسة الواقع – وفهم الظاهرة موضوع البحث والتعرف على الظروف والعوامل المؤثرة فيها – وفهم العلاقات بين المتغيرات. إضافة إلى فهم قوانين الطبيعة وتوجيهها لخدمة الإنسان.

التنبؤ، وهو من أهم أهداف العلم والبحث العلمي كما ذكر سابقا، ويشترط بالتنبؤ أن يكون مبنيا على أساس سليم بعيداً عن التخمين. والتنبؤ هو "عملية الاستنتاج التي يقوم بها الباحث بناءً على معرفته السابقة بظاهرة معينة، وهذا الاستنتاج لا يعتبر صحيحاً إلا إذا استطاع إثبات صحته تجريبياً.

الضبط والتحكم، أي السيطرة على الظواهر والتدخل لحجب ظواهر غير مرغوب فيها، وإنتاج ظواهر مرغوب فيها. وهذا من أهم أهداف التخطيط المبني على البحث العلمي الصحيح.

ثالثا- خصائص البحث العلمي:

يتميز البحث العلمي بمجموعة من الخصائص، وقد ذكر العديد من الكتاب عدد من هذه الخصائص، ونتعرض هنا لأهم هذه الخصائص:

أ- الموضوعية Objectivity: حيث تتم خطوات البحث العلمي كافة بشكل موضوعي غير متحيز، بعيداً عن الآراء الشخصية والأهواء الخاصة والتعصب لرأي محدد مسبقا.

ب- القدرة الاختبارية (القياس أوالتكميم): Accuracy and Testability واستخدام الفروض في البحث أو هي القابلية لإثبات نتائج البحث العلمي (**verification**). حيث تكون الظاهرة أو المشكلة موضوع البحث قابلة للاختبار والقياس، وتعبير على الظواهر بلغة الأرقام.

---

[1]- موريس أنجرس، **منهجية البحث في العلوم الإنسانية**، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص57.

ج- **إمكانية تكرارية النتائج، Replicability مع القابلية للتعميم (generalization):** حيث يمكن الحصول على نفس النتائج تقريباً إذا تم إتباع نفس المنهجية العلمية وخطوات البحث مرة أخرى وفي نفس الشروط، كما أنه يمكن تعميم النتائج على الحالات المشابهة في نفس البلد أو غيره، وبدون القدرة على التعميم، يصبح البحث العلمي أقل أهمية وأقل فائدة، كما أن القدرة على التعميم تساهم في الاستفادة من البحث بدرجة قصوى في المجالات المختلفة.

د- السببية: لكل حادثة أسباب تؤدي إلي ظهورها، ولا يتصور التفكير العلمي أن شيئاً ما ينتج صدفة أو دونما أسباب. وهذا الاعتقاد يدفع الباحث باستمرار، إلى البحث عن الأسباب المؤدية إلى الظاهرة موضوع الدراسة، ويسعى لعلاجها من خلال أسبابها.

ه - التراكمية: ويقصد بها تراكم المعرفة، ومن هنا تنشأ أهمية الدراسات السابقة وإثباتها في بداية البحث.

و- التنظيم: وإتباع منهج علمي يبدأ بالملاحظة ووضع الفروض واختيارها عن طريق التحري ثم الوصول إلي النتائج، كما يستند إلي التنظيم في طريقة التفكير.

ورغم الأهمية الكبرى للبحث العلمي فإننا نجد أن هناك العديد من

رابعا- المعوقات التي تواجه البحث العلمي وصفات الباحث الناجح: [1]

- تعقيد الظواهر الاجتماعية والإنسانية لارتباطها بالإنسان المتميز بالتعقيد والتأثر بالتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

- التأثر بالميول والأهواء والعواطف، وعدم المقدرة على التجرد من البيئة المحيطة.

- صعوبة استخدام الطرق المخبرية للعلوم الإنسانية، وذلك لصعوبة حصر ظاهرة الدراسة لفترة طويلة تحت ظروف قابلة للضبط والرقابة.

- صعوبة إمكانية تعميم النتائج، وذلك بسبب الاعتماد غالباً على عينة ضمن المجتمع قد لا تمثل المجتمع تمثيلاً دقيقاً، وهذا يؤدي إلى وجود تحيز وانحرافات يصعب معها تعميم نتائج العينة على المجتمع.

- الإهمال في تطبيق نتائج البحث العلمي.

---

[1]- نبيل أحمد عبد الهادي، **منهجية البحث في العلوم الإنسانية**، دار الأهلية للنشر وتوزيع، الأردن، 2006، ص146.

- إنكار قدرة العقل على التحليل والحجر عليه بالعادات والتقاليد التي لا يمكن المساس بها.
- انتشار الفكر الأسطوري الخرافي وتفسير الظواهر بفكر الأسطوري.
- الالتزام بالأفكار الشائعة، مثل القول: أن السبب الأساسي في الفقر والبطالة هو النمو والازدحام السكاني.

من الصفات اللازم توافرها في الباحث الجيد هي:

- احترام شخصية الأفراد و الحياة الخاصة.
- الاهتمام بتقليص العيوب.[1]
- الرغبة الجادة والصادقة في البحث.
- الصبر والعزم على استمرارية البحث وتحمل المصاعب.
- وضوح التفكير وصفاء الذهن حتى يتمكن الباحث من جمع الحقائق بدقة.
- تقصي الحقائق وجمع البيانات بصدق وأمانة.
- عدم الإكثار من الاقتباس والحشو.
- عدم الطعن في الباحثين الآخرين وإعطاء كل ذي حق حقه.
- التجرد العلمي والموضوعية، والبعد عن الأهواء والعاطفة.
- البعد عن التعميم وإصدار الأحكام مسبقاً.
- أن يكون لدى الباحث القدرة على استخدام العبارات والدلالات المناسبة.
- عدم حذف أي دليل أو حجة تتنافى مع آراء الباحث أو مذهبه.
- القدرة على التحليل واستخدام النماذج المناسبة لموضوع البحث.

خامسا- مراحل البحث العلمي وأنواعه:

حدد "ريمون كيفي" (Raymond Quivy) و (campenhoudt) في كتابهما دليل الباحث الاجتماعي الخطوات الإجرائية للبحث العلمي في سبعة خطوات أساسية حسب الترتيب الموالي:

[1]- نفس المرجع، ص87.

المرحلة الأولى: سؤال الانطلاق.

المرحلة الثانية: الاستكشاف، ويتم من خلالها القراءات والمقابلات الاستطلاعية.

المرحلة الثالثة: الإشكالية.

المرحلة الرابعة: بناء نموذج التحليل، يتم من خلالها الربط الافتراضي بين مختلف متغيرات الفرضية في نموذج متكامل قبل الوصول إلى الميدان.

المرحلة الخامسة: المعاينة.

المرحلة السادسة: تحليل المعلومات.

المرحلة السابعة: النتائج.[1]

مع العلم أن تقسيمات المراحل وترتيبها يخضع لإجراءات منهجية لابد من احترامها، والتي تعتبر من الركائز المهمة التي يعتمد عليها الباحث في إنجاز دراسته. وتتضمن المراحل السبعة السالفة الذكر المجسدة للمنهجية المعتمدة للبحوث مرحلتين أساسيتين تتمثل في المرحلة العقلية التي تترجم لاحقا في المرحلة الإجرائية، لنركز هنا على المرحلة الأولى منها . المراحل العقلية: تتجسد من خلال ثلاثة مراحل حددها (Gaston Bachelard) في قوله:

" construit et constaté«Le fait scientifique est conquis" - Conquis sur les préjugés. -Construit par la raison. - Constaté dans les faits.

نفس الفكرة تطرق إليها (Pierre Bourdieu) في كتابه (Le métier de sociologue)، أين جسدها في سيرورة عمل تنقسم إلى ثلاث خطوات أساسية يجب احترام تسلسلها في ما أسماه التدرج الهرمي للأفعال الإبستمولوجية متمثلة في كل من :

- القطيعة.
- البناء.

[1]- ريمون كيفي، **دليل الباحث في العلوم الاجتماعية**، تر: يوسف سباعي، المكتبة العصرية للطباعة للنشر، بيروت، 1997، ص42.

- التحقيق.

وعليه، تتمثل المراحل العقلية فيما يلي:

1. مرحلة افتكاك الموضوع
2. مرحلة بناء الموضوع
3. مرحلة تحقيق الموضوع [1]

نفتك الموضوع ونحدث قطيعة ليس فقط مع الأفكار المسبقة بل مع العلوم الأخرى كذلك لعدم وجود فراغ فكري ونظري من حولنا مثلما قام به "إميل دوركايم" الذي افتك موضوع دراسته الانتحار من الميدان النفسي. فالمواضيع التي يتم معالجتها في علم الاجتماع غير معطاة بل تتطلب جهدا وتوترا فكريا ومنهجيا وابستمولوجيا لبلورتها وإعطائها البعد الاجتماعي الذي يمكننا من دراستها، إضافة إلى اتسام الباحث بالاستقلالية عن معارفه السابقة.

بعد افتكاك الموضوع تأتي مرحلة بنائه. ولا يعتبر الموضوع علميا إلا إذا أخرج من دائرة الماهية ليتحول إلى شبكة من العلاقات السببية، من خلال تفكيك الموضوع إلى أجزاء مرتبطة ارتباطا جديدا في إطار إشكالية الباحث.

(مرحلة تحقيق الموضوع سيتم تناوله في المراحل الدراسية اللاحقة).

- كيف نختار موضوع البحث:

تعتبر مرحلة اختيار موضوع البحث مرحلة حاسمة وهامة لدى كل الباحثين على اختلاف تخصصاتهم. لهذا فهي تشكل فترة قلق وحرج لهم، حيث يصبح هذا الأمر هاجسا يؤرقهم في ظل غياب نماذج واضحة في هذا الإطار.

بناء الموضوع نقطة من نقاط البحث الجوهرية والأكثر صعوبة، باعتبارها الأساس الذي يستند إليه البحث بأكمله. حيث أكد باشلار: "أن العلم يحقق مواضيعه دون أن يجدها أبدا منجزة كليا، إنه لا يتوافق مع عالم يجب وصفه، بل مع عالم يجب

[1]- نفس المرجع، ص122.

بناؤه... فالواقعة تخضع للبحث وتبني ويتحقق منها". وعليه تبدأ هذه المرحلة منذ ظهور فكرة البحث وتستمر خلاله.

من أين يستقي الباحث موضوع بحثه؟

- **مصادر اختيار مشكلة البحث من خلال:**

- اطلاعه وإلمامه بالتراث الفكري في تخصصه من خلال الدراسات والبحوث السابقة المتعلقة بالموضوع أو موضوعات مشابهة.

- حضوره الفعاليات العلمية من مناقشات، ملتقيات، أيام دراسية والمحاضرات التي يتلقاها أثناء مساره التكويني.

- مشاكل الساعة التي تحدث في المجتمع ويهتم بها الرأي العام.[1]

- الموضوعات والمشاكل التي تبحثها مراكز البحوث والمخابر والهيئات والمؤسسات العلمية المتخصصة.[2]

- تحقيق أو رفض نظرية أو قانون سابق، أو حينما يريد التأكد من صحة بحث أو فرض معين أو عن طريق محادثة أو نتيجة تم استنباطها من نظرية أو قانون.[3]

- حينما يقرأ مقالا يختلف فيه مع مؤلفه اختلافا بيّنا.

- الخبرات اليومية التي يعيشها الفرد، والتي تأثر بها هو شخصيا أو أحد معارفه.

- **كيفية صياغة سؤال الانطلاق:**

ويرى موريس أنجرس أنه لابد من تدقيق مشكلة البحث أي طرح سؤال متصل بالموضوع (سؤال الانطلاق) وجعله جديرا بالتقصي بالواقع، ويتم هذا التدقيق من خلال أربعة أسئلة رئيسية تسمح بذلك وتتمثل في: السؤال الأول: "لماذا نهتم بالموضوع؟"، يسمح هذا السؤال بضبط وتحديد القصد والأسباب التي دفعت الباحث إلى اختياره. السؤال الثاني: "ما الذي نطمح بلوغه؟"، حيث يحدد الهدف. السؤال الثالث: "ماذا نعرف إلى حد الآن؟"، يؤدي إلى القيام بحوصلة السؤال حول المعارف

[1]- نبيل احمد عبد الهادي، مرجع سابق، ص97.
[2]- موريس انجرس، مرجع سابق، ص 122-125.

المكتسبة خلال استعراض الأدبيات. أما السؤال الرابع والأخير: "أي سؤال بحث الذي سنطرح؟"، والذي يسمح بالطرح الدقيق السؤال البحث الذي سيوجه كل طريقة البحث المقبلة، والذي يستوجب توفر الحد الأدنى من المعرفة بالنظريات التي لها علاقة بالفرع العلمي المعني أو النظريات الكلاسيكية أو الحديثة في التخصص. بما يضمن تصنيفا أوليا لمشكلة البحث، تنظيمها حسب ما توفره هذه النظريات من آفاق التفسير والفهم.

هذا السؤال الذي يعبر في الوقت ذاته عن تصور للموضوع ، وعليه بإمكان اختلاف تفسير الموضوع وبنائه من طرف المختصين في نفس العلم باختلاف السؤال المطروح".

ومن خصائص سؤال الانطلاقة أن يكون: [1]

- قابل للتنفيذ أي قابل للدراسة.
- يحمل متغيرات قابلة للقياس.

عند الانتهاء من هذه المرحلة يمكن للباحث استخلاص الملاحظات المختلفة التي تمكنه من توضيح السؤال أكثر عند الحاجة أو الاحتفاظ به إذا أثبتت العملية وضوحه وقبوله كموضوع بحث ودراسة. ومن هنا يقرر الباحث إما أن يحتفظ به، أو يعيد صياغته (تعديله)، من هنا نلاحظ أن لسؤال البحث الأساسي (سؤال الانطلاق) دورا هاما في توجيه الباحث إلى الأطر النظرية المختلفة قصد قراءتها وتحليلها حتى يتمكن من بناء إشكالية بحث بكيفية منهجية ناجحة.

يعد سؤال الانطلاقة بمثابة كاشف (Projecteur) حقيقي يوجه الباحث إلى:

مجال البحث البيبليوغرافي للقراءة وتحليل المفاهيم الأساسية للبحث، الأطر النظرية (نظريات ونماذج مختلفة)،الاستشارة المعمقة (أهل الخبرة والتخصص)، ويتوج هذا السؤال في النهاية بطرح الأسئلة الجوهرية للإشكالية وبناء الإطار النظري للبحث.

[1]- نفس المرجع ، ص126.

لينتقل الباحث إلى الخطوة الموالية من إنجاز بحثه: المرحلة الاستكشافية (الاستطلاعية).

تتلخص فيما يلي: . ماذا أقرأ؟ : كيف أقرأ؟

- البحث البيبليوغرافي:

حتى نساعد الباحث على جمع المادة الخام أي مجمل المراجع المشكلة لشبكة القراءات التي تناولت موضوع دراسته أو اقتربت منه أو مراجع في التخصص، وتكون ضرورية لبناء الإشكالية، والتي يحددها من خلال تفكيكه لمختلف المفاهيم التي يتضمنها سؤال الانطلاقة وكذا العلاقة المطروحة في إطاره. ماذا نلاحظ؟ أين نلاحظ؟ من نستشير؟ - الملاحظة والمقابلات بمختلف بأنواعها. وبعد جمع المعطيات المتحصل عليها من خلال هذه الإجراءات يتمكن الباحث تدريجيا من بناء إشكالية بأسس علمية بعيدة عن الذاتية والأحكام القيمية، القطيعة الإبستمولوجية الابتعاد عن الأفكار المسبقة.

يتطلب من الباحث الحصول على المراجع مع التركيز على المراجع الحديثة دون إهمال أمهات المراجع في التخصص.

و تختلف طريقة جمع المعلومات من موضوع إلى آخر: بالنسبة للمعلومات الموجودة في المكتبة يستخرجها الباحث من المراجع كالكتب والمقالات العلمية. بالنسبة للمعلومات الموجودة خارج المكتبة، تحتم على الباحث اعتماد منهجية علمية يتحصل من خلالها على المعلومات التي تفيده في بحثه من خلال المقابلات والملاحظات، ...

لذا ومهما يكن من أمر فإن مرحلة تحضير المادة الأولية (القراءة والتحليل) تعتبر من المراحل الهامة التي لا يمكن بأي حال من الأحوال إهمالها. فيقوم الباحث بعملية التمحيص لما تحصل عليه من أفكار في المرحلة الأولى حتى يتمكن من تجسيد الفكرة القابلة للدراسة والبحث والتي يمكن أن تعدل لاحقا حسب المعطيات المستجدة نظريا وميدانيا.

- الإشكالية:

الإشكالية هي مساءلة نظرية للواقع أو الظاهرة التي يريد الباحث دراستها، مما يجعل الإطار النظري مرجعية تفتح الآفاق للإجابة على سؤال الانطلاق...فتأخذ الإشكالية نوعا من المقاربة النظرية المحددة لاتجاه البحث من خلال بناء مفاهيمي يضفي عليها صفة العلمية".

إن محتوى الإشكالية يعكس البناء النظري للبحث الذي يعتبر ركيزته الأساسية، إذ لا يمكن التقدم في المراحل المنهجية في سيرورة البحث من دون هذا البناء النظري الذي تتوقف على صحته البحث في الأسباب والعناصر التفسيرية الموضوعية وتحليلها لاحقا كونه يشكل أداة ابستمولوجية في القطيعة مع الحس المشترك.

لا توجد وصفة أو قاعدة ثابتة لكيفية صياغة وتحرير الإشكالية، بل الأمر مرتبط أكثر بمكتسبات الباحث الفكرية والعملية، من خلال معرفة كيفية استغلال مكاسب المرحلة الاستكشافية من استعراض الأدبيات وقراءات استطلاعية، وكيفية توظيف نتائجها بما يؤدي إلى إيجاد أسلوب يمكنه من التناول النظري الملائم لمشكلة البحث وكيفية التعامل مع المفاهيم التي استخدمها.

وسواء عرضت فكرة الإشكالية في مقدمة العمل أم أدرجت منفصلة كما هو معتاد لاسيما في الدراسات الأكاديمية بمختلف تخصصاتها ، فهناك إجراءات واضحة يتبعها الباحث في بنائها، ينتقل فيها من العام إلى الخاص في تناوله للظاهرة قيد الدراسة. بما يكفل تناول جذور المشكلة وفق تسلسل واضح ودقيق، يبزر التدرج والوضوح في تناول المشكل المدروس، ويوضح أهداف البحث ككل.

على الباحث أن يكون دقيقا وعميقا في صياغة الإشكالية، ومقنعا وسلسا في طرحها، حتى يلفت القارئ لمتابعتها ثم الإيمان بوجودها، أي استشعارها، فكلما كانت المشكلة واضحة زاد الإيمان بوجودها، لأن تحدي الباحث يكمن في إحساس القارئ بمشكلته واقتناعه بها، اعتمادا على معايير البحث العلمي الرصين، المتميز بوحدة

الموضوع واستمراره التلقائي، بما يجذب القارئ ويضيف له قيمة علمية. وقد يستعين الباحث بنتائج بعض الدراسات ليستشهد بها في بناء الإشكالية.

إن مثل هذه الأسئلة باعتبارها محطات رئيسية في مسعى بناء الإشكالية، قد نجدها في هذه المرحلة أو تلك من مراحل البحث العلمي، أي هي ليست حصرية في الإشكالية، لكن أهميتها هنا تكمن في مساعدتها للباحث -خاصة المبتدأ في تخطي العوائق الذاتية والموضوعية في مرحلة لا تزال تدرك على أنها أصعب مرحلة في البحث العلمي. 1

تطرح عملية بناء الإشكالية عدة صعوبات منهجية ترتبط أساسا بغياب صيغة معينة أو مقياسا واضحا يلتزم الباحث بتطبيقه. غير أن ذلك لا يعني غياب شروط ومعايير يلزم الباحث بالتقيد بها، "فالإشكالية هي بلورة تناول نظري لمشكلة البحث بلغة معينة هي لغة المفاهيم.

وكما ذكرنا سابقا لا نمتلك نموذجا جاهزا لذلك، وعلى الأرجح أن تتهيكل على شكل نص تقديم (texte introductif) يختلف عن المقدمة من حيث طبيعة الخطاب، وجرت العادة أن تختتم بتساؤلات توجه الباحث". إضافة إلى جملة من المعايير نوجزها فيما يلي:

- قابلية مشكلة البحث للحل وفق الإمكانات المتاحة.

- قبل بناء الباحث إشكالية بحثه لابد أن يتحقق من توفر الوسائل والإمكانيات والمراجع الكفيلة بمعالجة الموضوع المختار الذي يكون قابلا للحل من خلال جمع البيانات وترتيبها على نحو منطقي لتفسيرها.

- الوضوح والابتعاد عن الغموض.

- يجب على الباحث أن يوضح موضوع بحثه، حتى لا يكون غامضا، مبهما وعاما، لأن الغموض وعمومية الموضوع تؤثران سلبا على بناء إشكالية الدراسة.

- تحديد الموضوع بدقة يتبع تحديد الدقيق لسؤال الانطلاق.

[1]- موريس أنجرس، مرجع سابق، ص87.

- حصر المشكلة في عناصر واضحة لمعرفة البيانات الواجب جمعها، فالهدف الرئيسي من الإشكالية هو إبراز المشكل المراد دراسته بوضوح مستغلا ما آلت إليه شبكة القراءات حول الموضوع ووضعها في إطار نظري ومفاهيمي معين.

- يتطلب في بنائها التحديد الدقيق لنوع الدراسة نظرية كانت أم امبريقية حسب ما يريد الباحث إنجازه، وكذا الأهداف المحددة لذلك. مع ضرورة إتباع الأساليب المنهجية التي تتطلبها الدراسة.

- أسلوب بناء الإشكالية يجب أن يكون واضحا بسيطا، سلسا، يبرز من خلاله الباحث المفاهيم المفتاحية المحركة للبحث، والتي يمكن أن تدخل لاحقا ضمن المفاهيم ألا يكون مطالبا بتحديدها نظريا وإجرائيا، مستعملا أسلوبا علميا في التخصص بعيدا عن الأسلوب الأدبي، والأحكام القيمية.

- يشتمل بناء الإشكالية على مفاهيم المقاربة النظرية، ونموذج تحليلها.

- تنتهي صياغة الإشكالية بأسئلة تجسد موضوع البحث ويتحدد من خلالها الزوايا الجوانب المعنية بالدراسة والتي تمهد لصياغة أجوبة مؤقتة في شكل فرضيات.

- الفرضيات:

تعتبر هذه الخطوة قاعدة منهجية في بناء البحث العلمي، ورغم صعوبة الالتزام بها إلا أنها ضرورية في البحث العلمي للابتعاد عن الأفكار المسبقة التي تمثل عائقا ابستمولوجيا يضفي تصورات غير موضوعية. والالتزام بها يعني الابتعاد عن الذاتية فيعالج الباحث موضوع بحثه وكأنه يجهل عنه كل شيء فينطلق مما تقدمه له ملاحظة الوقائع لا من خلال ما يعتقد أنه يعرفه عنه. حيث تطرق **دوركايم في مؤلفه "قواعد المنهج في علم الاجتماع"** إلى ضرورة القطيعة الابستمولوجية التي تدخل الباحث في علاقة مواجهة مع الانطباع العام عند بناء الموضوع من خلال اعتبار الظواهر الاجتماعية كأشياء تبني ليست معطاة. ومن هنا يتزود الباحث بخلفية نظرية من خلال الإطار النظري المرجعي ومختلف التقنيات التي يواجه بها الحس المشترك، لأن هذه القطيعة لا تتحقق إلا بجعل مسافة بين الموضوع والتصورات الجاهزة عنه.

أ- أنواع البحوث العلمية:[1]

تنقسم وتتنوع البحوث والدراسات العلمية إلى عدة أنواع وذلك بحسب كيفية معالجتها للحقائق والظواهر والأشياء وكذا على أساس النتائج التي تتوصل إليها، فقد تكون البحوث استكشافية وقد تكون تفسيرية نقدية وقد تكون بحوثا كلية وشمولية كاملة، وقد تكون بحوثا استطلاعية أو بحوثا وصفية تشخيصية وقد تكون بحوثا ودراسات تجريبية. وقد تصنف البحوث على حسب زمن الدراسة كالبحوث طويلة المدى وقصيرة المدى، وعلى حسب مكان أو جغرافية الدراسة كالبحث الوطني أو الدولي ، والهدف من الدراسة كالبحوث الأساسية والتطبيقية، وعلى حسب أيضا المناهج المستخدمة فيها كالبحوث التجريبية والتاريخية.

1- البحث الاستكشافي أو الاستطلاعي:

البحث الاستطلاعي أو الدراسة العلمية الكشفية أو الاستطلاعية، وهو البحث الذي يستهدف التعرف على المشكلة فقط، وتكون الحاجة إلى هذا النوع من البحوث عندما تكون مشكلة جديدة أو عندما تكون المعلومات عنها ضئيلة، وعادة ما يكون هذا النوع من البحوث تمهيدا لبحوث أخرى تسعى لإيجاد حل للمشكلة.

2- البحث التفسيري النقدي:

و هو البحث الذي يمتد إلى مناقشة الأفكار ونقدها والتوصل إلى نتيجة تكون غالبا الرأي الراجح بين الآراء المتضاربة، وعليه فالهدف من هذه البحوث ليس الاكتشاف ولكن الهدف هو النقد والتفسير لأفكار تم اكتشافها.

3- البحث الكامل:

هو بحث يجمع بين النوعين السابقين ويهدف إلى حل المشاكل حلا كاملا وشاملا ويستهدف وضع قوانين وتعليمات بعد التنقيب الدقيق والشامل لجميع الحقائق المتعلقة بالموضوع، ثم القيام بتفسير وتحليل الأدلة والحجج التي يتم التوصل إليها. فهو يستخدم

[1] - اللحلح ومحمود مصطفى أبو بكر ، مرجع سابق، ص 78.

بالإضافة إلى كل من البحث التنقيبي والبحث النقدي التفسيري يستخدم أسلوب التعمق والشمولية والتعميم.

ويشترط في البحث العلمي الكامل ما يلي:

ـ وجود مشكلة تتطلب حلا علميا.

ـ اكتشاف حقيقة معينة وقيام أدلة على وجودها.

ـ تفسير الأدلة والحقائق والحجج والآراء ونقدها نقدا موضوعيا وعلميا تمهيدا للحل.

ـ التوصل إلى حل علمي نهائي وإجابة حقيقية عن المشكلة المطروحة.

4- البحث الوصفي التشخيصي:

وهو البحث الذي يستهدف تحديد سمات وصفات وخصائص ومقومات ظاهرة معينة تحديدا كميا وكيفيا بحيث يسهل التعرف عليها فيما بعد ومقارنتها بباقي الظواهر والأشياء، مثل دراسة الحالة.

5- البحث التجريبي:

هو ذلك البحث الذي يقوم على أساس الملاحظة والتجارب الدقيقة لإثبات صحة الفروض. وقد تصنف البحوث العلمية على حسب أهدفها وطبيعة الموضوع المدروس، وعلى حسب أيضا نوع المنهج المستخدم ومكان الدراسة وزمانها. [1]

[1]- نبيل عبد الهادي، مرجع سابق، ص58.

الفصل الثالث: المنهج العلمي واستخداماته في العلوم الإنسانية

أولا- العمليات الأساسية في المنهج العلمي:

1-الاستقراء والاستنباط : تمنح أطروحة **الاستقراء** الأسبقية لجمع الملاحظات عن الظواهر بهدف الاستنتاج الممكن للافتراضات العامة المؤدية إلى بعض الانسجام، وتنطلق من اعتبار أن كل ملاحظ دقيق بإمكانه القيام بالنشاط العلمي؛ فهو عبارة عن ذلك الاستدلال التصاعدي الذي ينطلق فيه الباحث من دراسته لظاهرة معينة من جزئياتها وصولا إلى كلياتها، ومن خصوصياتها إلى عمومياتها، كأن يدرس الباحث علاقة القاضي بالمنفذ لأحكامه، ثم علاقة القاضي بالمشرع، وعلاقة المشرع بالحاكم، ثم يستخلص من تلك الدراسات الجزئية أن مبدأ الفصل بين السلطات ضروري لنظام الدولة.

إن أطروحة **الاستنباط** ترى بأن العلاقات الممكنة بين الظواهر ما هي إلا بناءات فكرية يمكن التحقق منها في الواقع لاحقا، وفي نظر أصحاب هذه الأطروحة العلم استنباطي، والاستنباط هو استدلال مستمد من افتراضات عامة بغية التحقق من صحتها في الواقع.

فهو عبارة عن ذلك الاستدلال التنازلي الذي ينتقل فيه الباحث من الدراسة الكلية لظاهرة معينة وصولا إلى جزئياتها كأن يفترض الباحث أن نظرية فصل السلطات ضرورية لدراسة نظام الحكم، ثم ينتقل من تلك النظرية العامة إلى نظريات جزئية تتفرع منها وتقوم عليها دراسته لمختلف جوانب الحياة السياسية المتعلقة بالموضوع، ويعتمد الاستدلال على الرياضيات، كما يستعمل كوسيلة من وسائل البرهنة الرياضية المنطقية.[1]

2 -التصنيف: إن العلم لا يكتفي بوصف المواضيع والظواهر؛ بل يبحث أيضا عن تصنيفها وترتيبها، وللقيام بذلك، يقوم باختصارها واختزالها في بعض الفئات من العناصر وذلك بتجميعها حسب بعض المقاييس، ومدى ملاءمتها، ذلك أن بعض المواضيع تتميز بالتقارب أو التشابه إذا ما قيس بمواضيع وظواهر أخرى، ويحدد التصنيف إذن بأنه تجميع أشياء أو ظواهر انطلاقا من مقياس واحد أو عدة مقاييس.

[1]- موريس أنجرس، مرجع سابق، ص77.

3 – التفسير والفهم: إن العلم لا يتوقف عن وصف وتصنيف المواضيع والظواهر الملاحظة؛ وفي الواقع هو يسعى إلى تفسيرها، لهذا يمثل التفسير القلب النابض للمسعى العلمي والذي يبحث في العلاقات القائمة بين الظواهر، والعلاقة التي يبحث فيها أكثر هي بطبيعة الحال علاقة سببية؛ أي تلك العلاقة التي تجعل إحدى الظواهر سببا في وجود ظاهرة أخرى أو عاملا رئيسيا في ظهورها.

يقصد بالفهم اكتشاف طبيعة ظاهرة إنسانية مع الأخذ بعين الاعتبار المعاني المعطاة من طرف الأشخاص المبحوثين؛ وبالتالي فالفهم يأخذ بعين الاعتبار الواقع المعاش للأشخاص موضوع البحث.

4 - التجريد: التجريد هو عملية يتم من خلالها اشتقاق المفاهيم من استخدام وتصنيف المفاهيم الحرفية ("الحقيقية" "أو المادية") أو المبادئ الأولى أو وسائل أخرى. ومن هنا كان التجريد صفة ملازمة للعلم سواء تم ذلك عن طريق الرياضيات أو أي نوع آخر من الرموز أو الأشكال.

5- التحليل والتركيب والوصف: يقوم التفكير العلمي على التحليل؛ فالعالم يقوم بتحليل الظاهرة إلى أبسط العناصر بهدف فهمها ومعرفة العلاقات التي تقوم بينها ونسبتها إلى بعض، فقوة الجذب بين جسمين مثلا لا تتوقف على كتلة كل منهما فقط؛ بل وكذلك على المسافة بينهما وسرعة حركة كل منهما، كما يستخدم التحليل في الرياضيات؛ أيضا سواء في الهندسة التحليلية أو فيما يسمى بالحساب التحليلي كما يستخدم في العلوم الإنسانية.[1]

هذا فضلا على أن التفكير العلمي يقوم أيضا على التركيب، وهو صفة مكملة لعملية التحليل؛ فبواسطة التحليل يتمكن الباحث من التعرف على الوسائط التي تتكون منها الظاهرة والعلاقات التي ترتبط بينها، كما يستطيع الباحث إعادة تركيب العناصر البسيطة الموجودة في الظاهرة بنفس العلاقات والنسب بينها، وذلك بعد مراجعة التحليل السابق والتثبت من صحته.

[1]- نفس المرجع، ص45.

إن من أهم العمليات الأساسية التي يقوم عليها العلم بصفة عامة والمنهج العلمي بصفة خاصة هي النجاح في وصف الواقع أو الظاهرة المطروحة للدراسة وإحصاء خصائصها؛ وبالتالي فالوصف هو تمثيل مفصل وصادق عن الموضوع أو ظاهرة ما.

6- التجريب: [1]

إن التجريب تقنية مباشرة، عادة ما يستعمل لدى بعض الأفراد في إطار تجربة موجهة، لأن مراقبة أدق التفاصيل المرتبطة بالوضع هي بمثابة ميزة خاصة بالتجريب يهدف إلى إخضاع المعطيات للمعالجة الإحصائية. إن التجريب ليس منتشرا في العلوم الإنسانية بمثل ما هو عليه في علوم الطبيعة نظرا إلى صعوبة قابلية موضوع الأولى للتجريب؛ غير أنه يستعمل عندما نريد القيام بتحليل العلاقة بين السبب والنتيجة، ذلك لأنه يسمح بفحص تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع بصفة أكثر واقعية، فإنه يسمح بفحص رد الفعل على المحفز، عندما تكون المفاهيم الأساسية الموجودة في الفرضية قابلة للتحول إلى متغيرات يمكن قياسها؛ فالتجريب إذن هو تقنية مباشرة للتقصي العلمي عادة ما تستعمل تجاه الأفراد في إطار التجربة التي تتم بكيفية موجهة، والتي تسمح بسحب عينة كمية بغرض تفسير الظواهر والتنبؤ الإحصائي بها.

ثانيا- خطوات المنهج العلمي

1ـ الملاحظة العلمية:

تعرف الملاحظة العلمية على أنها "مشاهدة الظاهرة محل الدراسة عن كثب في إطارها المتميز ووفق ظروفها الطبيعية، حتى يتمكن الباحث من مراقبة تصرفات وتفاعلات المبحوثين". كما تعتبر إحدى أدوات جمع البيانات وتستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية، كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة ....ويمكن للباحث تبويب الملاحظة وتسجيل ما يلاحظه من المبحوث، سواء كانت كلاما أم سلوكا.[2]

[1]- نفس المرجع، ص57.
[2]- نبيل عبد الهادي، مرجع سابق، ص55.

كما تعرف بأنها" توجيه الحواس للمشاهدة والمراقبة لسلوك معين أو ظاهرة معينة وتسجيل ذلك السلوك وخصائصه."

- **أنواع الملاحظة:** هناك عدة تقسيمات لأنواع الملاحظة نذكر منها:

أ- **من حيث درجة الضبط:** ويضم الأنواع التالية:

- **الملاحظة البسيطة:** وتستخدم في الدراسات الاستكشافية، حيث يلاحظ الباحث ظاهرة أو حالة دون أن يكون لديه مخطط مسبق لنوعية المعلومات أو الأهداف أو السلوك الذي سيخضعه للملاحظة.

- **الملاحظة المنظمة:** ويحدد فيها الباحث الحوادث والمشاهدات والسلوكيات التي يريد أن يجمع عنها المعلومات، وبالتالي تكون أكثر دقة وتحديدا مقارنة بالملاحظة البسيطة، وتستخدم في الدراسات الوصفية بكافة أنواعها.

ب- من حيث دور الباحث: ونجد فيها الأنواع التالية:

ـ **الملاحظة المشاركة:** ويكون فيها للباحث دور ايجابي وفعال، حيث يشارك أفراد الدراسة في سلوكهم وممارساتهم كأن يعيش الباحث مع السجناء على أنه سجين دون أن يعرف ذلك.

ـ **الملاحظة غير المشاركة:** وفيها يأخذ الباحث موقف أو مكان ويراقب منه الأحداث أو الظاهرة أو السلوك دون أن يشارك أفراد عينة الدراسة بالأدوار التي يقومون بها.

- **خطوات الملاحظة:** ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- تحديد الهدف الذي يسعى الباحث للوصول إليه.
- تحديد الأشخاص المعنيين بالملاحظة مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة الاختيار الجيد والملائم لهؤلاء الأشخاص.
- تحديد الفترة الزمنية اللازمة للملاحظة، بشكل يتناسب مع الوقت المخصص للبحث.
- ترتيب الظروف المكانية الملائمة للملاحظة.
- تحديد النشاطات المعنية بالملاحظة.
- جمع المعلومات بشكل نظامي ثم تسجيلها.

- **تقييم الملاحظة العلمية**: يتضمن البحث بالملاحظة مجموعة من الإيجابيات والسلبيات فبخصوص الإيجابيات فيمكن تعدادها في النقاط التالية:

- قد يتم اعتبارها كأحسن وسيلة لجمع المعلومات حول كثير من الظواهر والحوادث.
- تسجل الملاحظة الحادثة والتصرفات والسلوكات في وضعها الطبيعي، خاصة إذا لم يشعر المبحوثين بأن الباحث يلاحظهم وقت حدوثها.
- تسمح بالتعرف على بعض الأمور التي قد لا يكون الباحث قد فكر بأهميتها.
- يجمع الباحث معلوماته عن الظاهرة في ظروفها الطبيعية مما يزيد من دقة المعلومات.

ومن سلبياتها نجد:

ـــ استغراقها وقتا وجهدا وتكلفة مرتفعة في بعض الأحيان، خاصة إذا تطلب الأمر ملاحظة الظاهرة لفترات زمنية وفي ظروف صعبة.

ـــ التحيز عند الباحث في بعض الأحيان وخاصة عند تأثره بالظاهرة التي يلاحظه، والتحيز من قبل المبحوثين عند إدراكهم بأنهم يخضعون للملاحظة.

2- الفرضيات العلمية: [1]

تعرف **الفرضية** بأنها" قضية احتمالية تقرر علاقة بين متغيرات تعطي تفسيرا مؤقتا للدراسة وتستخدم بعض المناهج والأدوات الدقيقة لدراستها". كما تعرف بأنها "جملة تعبر عن توقع مدروس لاحتمال وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر، وهذا التوقع قد يثبت صحته أو خطأه".

يوصف الفرض بأنه عملي عندما يرتبط بالآراء الممكن الاستعانة بها في تفسير الظواهر التي تعترض الإنسان أثناء أداء عمله، حيث يلتمس الأسباب التي تشكل الظاهرة أو المشكلة المعينة، كما يوصف بأنه علمي عندما يخضع الملاحظة والتجربة التي تتطلب معرفة الحقيقة في إطار تفسير الظواهر.

- **أنواع الفروض العلمية:** الفروض تنقسم إلى:

[1]- موريس أنجرس،مرجع سابق، ص87.

أ ــ الفرض المباشر: هو الفرض الذي يسعى الباحث من خلال صياغته لإثبات علاقة بين متغيرين سواء كانت علاقة طردية أو عكسية. ومثال على ذلك: **الاستخدام المكثف لموقع اليوتوب يزيد من درجة التحصيل العلمي للطالب.** (علاقة طردية). **الاستخدام المكثف لموقع اليوتوب يقلل من درجة التحصيل العلمي للطالب.** (علاقة عكسية)

ب ـ الفرض غير مباشر: ويسمى الفرض الصفري أو المعدم، وهو الذي يحاول الباحث من خلاله نفي وجود علاقة بين متغيرين. ومثال على ذلك**: الاستخدام المكثف لموقع اليوتيوب لا يؤثر على التحصيل العلمي للطالب.**

جـ ــ الفرض البديل: وهي عبارة عن فروض لا تنفي وجود علاقة بين متغيرات البحث تصاغ على شكل يؤكد وجود علاقة سالبة أو موجبة بين متغيرين أو أكثر. وينبغي لفت نظر الباحثين عند صياغة الفروض الصفرية أو البديلة إلى توقعاتهم لنتائج أبحاثهم، فإذا كان يتوقع عدم وجود فروق، فإن الصياغة تكون صفرية، أما إذا توقع أن تكون نتائج بحثه تقر بوجود فروق وعدم التساوي، فإن صياغة فروضه ينبغي أن تكون

بديلة.[1]

- **مكونات الفرضية**: تتكون الفرضية من المتغيرات التالية:

أــ المتغير المستقل هو الذي يرغب الباحث في معرفة أثره على متغير آخر.

ب ــ المتغير التابع فيمثل النتيجة التي تنشأ نتيجة تأثير المتغير المستقل.

ومن أجل تقريب المفهوم نقدم المثال التالي**: ضعف الاتصال الأسري يؤدي إلى إهمال الأولاد.** فضعف الاتصال الأسري هو المتغير المستقل وإهمال الأولاد هو المتغير التابع.

جـ ــ المتغير الوسيط: وهو المتغير الذي يتوسط المتغير المستقل والتابع، ويستعين به الباحث عندما يشعر بضعف العلاقة بينهما.

- **الأهمية العلمية للفرضية**: تظهر الأهمية العلمية للفرضية في:

[1]- نفس المرجع، ص97.

ــ تحديد مسار البحث العلمي من خلال توجيه الباحث لجمع بيانات ومعلومات معينة لها علاقة بالفرضيات من أجل اختبارها ثم قبولها أم رفضها.

ــ تسلسل وربط عملية سير المنهج التجريبي من مرحلة الملاحظة العلمية إلى مرحلة التجريب واستخراج القوانين واستنباط النظريات العلمية.

ــ زيادة قدرة الباحث على فهم الظاهرة المدروسة، من خلال تفسير العلاقات بين المتغيرات المكونة لهذه الظاهرة.

ــ تؤدي الفرضية دورا حيويا في استخراج النظريات والقوانين والتفسيرات العلمية للظواهر، والمساهمة في تراكم المعرفة، وتواصل وتيرة البحث العلمي من خلال الكشف عن فرضيات جديدة يمكن دراستها.

- **خصائص الفرضيات**: تتضمن الفرضيات مجموعة من الخصائص نذكرها في النقاط التالية:

ــ **التصريح:** فالفرضية عبارة عن تصريح يوضح في جملة علاقة قائمة بين حدين أو أكثر.

ــ **التنبؤ:** الفرضية عبارة عن تنبؤ لما سنكتشفه في الواقع، والذي يمثل الحل المتوقع للمشكلة المدروسة.

ــ **وسيلة للتحقق:** فهي وسيلة للتحقق الامبريقي الذي يعني عملية يتم من خلالها معرفة مدى مطابقة التوقعات أو الافتراضات للواقع أي الظواهر.[1]

- **شروط صياغة الفرضية:** ومن بينها نجد:

ــ **إيجازها ووضوحها:** ويتم ذلك عن طريق تحديد المصطلحات التي تتضمنها فرضيات الدراسة، والتعرف على المقاييس والوسائل التي يستخدمها الباحث للتحقق من صحتها. كما يجب أن لا تكون صياغتها طويلة ومعقدة بحث يصعب فهمها.

ــ **شمولها وربطها:** أي اعتماد الفرضية على جميع الحقائق الجزئية المتوفرة، وأن يكون هناك ارتباط بينها وبين النظريات التي تم التوصل إليها.

[1]- نفس المرجع، ص106.

ــ قابليتها للاختبار: فالفرضيات الفلسفية والأحكام القيمية يصعب اختبارها في غالب الأحيان.

د ــ خلوها من التناقض.

ه ــ تعددها: اعتماد الباحث على مبدأ الفرضيات المتعددة يجعله يصل عند الاختبار إلى الحل الأنسب.كما يمكن للباحث أن يكتفي بصياغة فرضية واحدة رئيسية للبحث.

و ــ عدم تحيزها: ويكون ذلك بصياغتها قبل البدء بجمع البيانات، لضمان عدم التحيز في البحث.

- **مصادر الفرضية :** يقصد بمصادر الفرضيات أصل الفرضية ونشأتها، فقد تنشأ من عوامل خارجية مرتبطة بالظواهر المحيطة بها، أو العوامل التي تكمن في الظواهر ذاتها.

وتتمثل العوامل الخارجية في:

أـ الملاحظة: وهي مصدر مهم جدا حيث أن الكثير من الفرضيات تأتي نتيجة ملاحظة لظاهرة أو سلوك معين يلفت انتباه الباحث، فيشد انتباهه فيبدأ بطرح أسئلة ويحاول أن يعطي لها إجابات مؤقتة.

ب- النظرية: ويمكن أن تكون منطلقا لكثير من الأسئلة ومن ثم إلى عدة فرضيات، وهذا ما يؤدي باستمرار إلى سرعة دائرة العلوم وتوسعها.[1]

جـ ـ الدراسات السابقة:

ما يصل إليه الباحث قد يشكل نقطة اهتمام باحث آخر، فيتساءل حول ما توصلت إليه الدراسة السابقة، فتشكل نتائجها موطن اهتمام جدي وتساؤلات عديدة تتبلور من خلالها فرضية يسعى الباحث إلى تحقيقها.

أما العوامل الكامنة والباطنة فتعتبر المصدر الرئيس للفروض وترتبط بالأفكار والآراء والحقائق التي تثيرها العوامل الخارجية، ويتم من خلالها تفسير الظواهر للتوصل إلى الفروض، وبالتالي التعميمات والقوانين.

[1]- نبيل عبد الهادي، مرجع سابق، ص95.

اختبار صحة الفروض:

يجب أن يتأكد الباحث من الفروض واختبارها من خلال الطرق التي تعتمد على دراسة الظاهرة، كاستخدام المنهج التجريبيّ في المختبر إذا كانت الظاهرة المطروحة للدراسة بحاجة للتجريب، أو التجريد، ومناهج الاستقراء، والاستنباط، حيث يمكن للباحث فحص هذه الفروض من خلال وضع مقارنات بينها وبين فرضيات علميّة سبقتها، والتأكد من أنّ هناك علاقة وثيقة بين الظاهرة المطروحة للدراسة، وبين الفرضيات العلمية التي سبقتها، وفحصها إذا ما كانت مقبولة من وجهات نظر علميّة أو مجتمعيّة، حتى يصل الباحث إلى حقائق صافية لا تشوبها شائبة، ويستخلص منها نتائج عمليّة وصحيحة لحلّ تلك الظاهرة.

تمّ اختبار صحّة الفرضيّة بشكل إحصائيّ بإتباع الخطوات الآتية:

- تحديد العلاقة التي قد تَنتُج في حال كانت الفرضيّة صحيحةً. وضع نموذج للفرضيّة سواء كانت صِفريّة، أو بديلة.
- جمع البيانات التي تَخصّ المُشكلة.
- استخدام الإحصاء الاستدلاليّ بهدف معرفة احتماليّة حدوث الفرضيّة، حيث تتمّ عمليّة القبول والرّفض بناءً على مُقارنة احتمال حدوث الفرضيّة مع الدّلالة الإحصائيّة التي تمّ اختيارها.

3- التجريب وتعميم النتائج:

يقصد بذلك تعميم نتائج العينة موضوع البحث على الجمهور الذي أخذت منه، والخروج بقواعد عامة يستفاد منها في تفسير ظواهر أخرى مشابهة. والتعميم سهل في العلوم الطبيعية وصعب في العلوم الاجتماعية والإنسانية. أما مرد ذلك فإلى وجود تجانس في الصفات الأساسية للظواهر الطبيعية مما يسهل على الباحث استخدام التجربة المخبرية للظواهر الطبيعية حيت توضع المواد الأولية تحت ظروف خاصة من الحرارة أو الضغط الجوي، فتكون النتيجة واحدة دائما أينما أجربت التجربة. ولكن هذا يختلف بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية لأن الكائنات البشرية متباينة في شخصيتها وعواطفها ومدى استجابتها للمؤثرات المختلفة مما يصعب معه الحصول

على نتائج صادقة قابلة للتعميم كما يحدث في ميدان العلوم الطبيعية حيث المادة الأولية تخضع لتصرفات الباحث دون أن تتغير استجابتها من وقت لآخر.

ثالثا- التصنيفات الحديثة لمناهج البحث العلم.[1]

يمكن إجمال التصنيفات الحديثة من خلال الرجوع إلى الفقهاء الذين نادوا بها وتناولها على النحو التالي:

رتب الفقيه هويتني المناهج العلمية على النحو التالي: **1(Whitney)**

- تصنيف **هويتني**

- المنهج الوصفي.
- المنهج التاريخي.
- المنهج التجريبي.
- البحث الفلسفي.
- البحث التنبؤي.
- البحث الاجتماعي.
- البحث الإبداعي.

- تصنيف **ماركيز: (Marquis)**

- المنهج الأنثروبولوجي (الملاحظة الميدانية).
- المنهج الفلسفي.
- منهج دراسة الحالة.
- المنهج التاريخي.
- منهج المسح.

[1]- أنظر أصول البحث الاجتماعي، محمد عبد الباسط حسن.

- المنهج التجريبي.

جود و سكايتس: Good et Scates 3- تصنيف

- المنهج التاريخي.

- المنهج الوصفي.

- منهج المسح الوصفي.

- المنهج التجريبي.

- منهج دراسة الحالة والدراسات الإكلينية.

- منهج دراسات النمو والتطور والوراثة.

كل هذه التصنيفات بالغ أصحابها في تحديد مناهج البحث العلمي حيث أقحموا بعض أنواع البحوث وطرق الحصول على المعرفة والثقافة وكذا بعض أجزاء المناهج الأصلية.

- **أنواع المناهج العلمية:**

هناك مناهج أصلية وأخرى فرعية متفق عليها من طرف العلماء وكتاب علم المناهج وهي على النحو التالي :.

المنهج التاريخي.[1]

تختلف المناهج العلمية باختلاف الموضوعات التي تدرسها، كما أن لكل منهج وظيفة خاصة ووسائل يستخدمها كل باحث في مجال اختصاصه، وعليه فالمنهج كيفما كان نوعه، هو بوجه عام الطريقة التي سلكها الباحث للوصول إلى نتيجة معينة. و منه فإذا كان البحث يدور حول موضوع تاريخي فإنه يتعين على الباحث أن يعتمد على المنهج التاريخي. فما هو المنهج التاريخي؟ وما هي خطوات هذا المنهج؟

[1]- نبيل احمد عبد الهادي، مرجع سابق، ص 65.

هذا ما سنحاول توضيحه من خلال العناصر التالية:

العنصرالأول: مفهوم المنهج التاريخي.

العنصر الثاني: خطوات المنهج التاريخي.

للوقوف على المعنى الحقيقي للمنهج التاريخي نستعرض في البداية تعريف علم التاريخ ومن ثم تعريف المنهج التاريخي.

عرفه هومر هوشيث Humer Hochet التاريخ هو السجل المكتوب للماضي أو للأحداث الماضية.) كما عرفه (ألان نفنس) **Allen Ne vins**هو وصف الحوادث أو الحقائق الماضية وكتابتها بروح النقد والبحث عن الحقيقة الكاملة.) أما (كارتر- ف - جود) **Carter.V.Good** فيرى أن التاريخ واسع كاتساع الحياة نفسها وهو يضم الميدان الكلي الشامل للماضي البشري.

- تعريف المنهج التاريخي:

هو أداة علم التاريخ في تحقيق ذاته بتحقيق ما ذكرناه من العمليات والأمور، كما أنه أداة التاريخ في الوصول إلى التعميمات أو القوانين التي تفيد في التنبؤ بالنسبة للمستقبل، وعليه فالمنهج التاريخي هو الطريق الذي يتبعه الباحث في جمع المعلومات عن الأحداث وفحصها، ونقد وتحليلها وعرضها وترتيبها وتفسيرها، واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها من أجل التخطيط للمستقبل.

- خطوات المنهج التاريخي:

يرتكز المنهج التاريخي كمنهج من بين مناهج البحث العلمي الأساسية على جملة من الخطوات التي يجب على الباحث التقيد بإتباعها والالتزام بها، وهذه الخطوات هي:

- اختيار الموضوع وتحديد المشكلة:

المقصود بتحديد المشكلة العلمية التاريخية هنا هو تحديد الموضوع العلمي التاريخي الذي تقوم حوله التساؤلات والاستفسارات العلمية التاريخية الأمر الذي يؤدي إلى تحريك البحث العلمي لاستخراج الفرضيات العلمية التي تمكن من الإجابة الصحيحة والثابتة لهذه التساؤلات والاستفسارات التاريخية، فالمشكلة العلمية هي تلك الفكرة المحركة والقائدة والموجهة للبحث العلمي التاريخي حتى الوصول نظريات وقوانين علمية ثابتة وعامة تفسر وتكشف الحقيقة العلمية التاريخية.

- جمع البيانات والمعلومات التاريخية حصرها:

نظرا لحيوية وأهمية وخطورة الدور الذي تقوم به الوثائق التاريخية والمصادر، حيث أن الوثائق التاريخية هي جوهر المنهج التاريخي، لذلك يطلق البعض على المنهج التاريخي تسمية منهج الوثائق أو بحث الوثائق. لذلك يستوجب الأمر هنا التصرف لتحديد معنى الوثائق وبيان معناها اللغوي والاصطلاحي وتحديد أنواعها المختلفة وتوضيح كيفية تحليلها ونقدها وتقيمها كأداة علمية للتجريب والتحليل والتركيب للوقائع والأحداث الماضية لاستنباط الحقائق العلمية في صورة فرضيات ونظريات وقوانين عامة وثابتة.

- نقد المصادر والمعلومات:

تأتي مرحلة فحص وتحليل هذه الوثائق تحليلا علميا دقيقا عن طريق استخدام كافة أنواع الاستدلالات والتجريب، للتأكد من مدى أصالة وهوية وصدق هذه الوثائق التاريخية فيما تحمله من أدلة تاريخية للحقيقة التاريخية للموضوع أو المشكلة، وتعرف هذه العملية من فحص وتحليل بعملية النقد وتتطلب في الباحث صفات خاصة مثل الحس التاريخي القوي والذكاء اللماح والإدراك العميق والمعرفة الواسعة والثقافة المتنوعة وكذا القدرة على استعمال فروع العلوم الأخرى في تحليل ونقد الوثائق التاريخية.[1]

وهناك طريقتين في نقد الوثائق هما النقد الخارجي والنقد الداخلي.

النقد الخارجي يستهدف التعرف على أصالة الوثيقة التاريخية والتأكد من مدى صحتها وكذا ترميم وتصحيح الوثيقة التاريخية إذا ما طرأت عليها تطورات وتغيرات في حالتها وإعادتها إلى حالتها ووضعها الأصلي.أما **النقد الداخلي** فإنه يأتي بعد النقد الخارجي ويهدف للتحقق من دقة وصدق الوثائق التاريخية ومدى الثقة في المعلومات التي تحتويها وذلك عن طريق الحصول على المعلومات التاريخية الحقيقية الصادقة من الوثائق والأصول التاريخية. وتتم هذه العملية عن طريق تحليل وتفسير النص التاريخي والمادة التاريخية وهو ما يعرف بالنقد الداخلي الايجابي، وبواسطة إثبات مدى أمانة وصدق المؤلف وموضوعيته ودقة معلوماته وهو ما يعرف بالنقد الداخلي السلبي.

- صياغة الفروض وتحقيقها:

ونقصد بالفرضيات الكيفية أو الأسئلة البحثية التي تفسر الحقيقة التاريخية في صورة نظرية أو قانون ثابت وعام يكشف ويفسر الحقيقة العلمية التاريخية حول حدث أو واقعة من الأحداث والوقائع التاريخية، وتتضمن عملية التركيب والتفسير التاريخي للوقائع التاريخية المراحل التالية:

[1]-نفس المرجع، ص68.

أ) تكوين صورة فكرية واضحة لكل حقيقة من الحقائق المحصلة لدى الباحث التاريخي وللموضوع ككل.

ب) تنظيم المعلومات والحقائق الجزئية والمتفرقة والمبعثرة المحصلة وتوصيفها وتصنيفها وترتيبها على أساس معايير وأسس منطقية مختارة.

ج) عملية ملء التغييرات التي تظهر بعد عملية التوصيف والتصنيف والتركيب للمعلومات والحقائق التاريخية الجزئية والمتفرقة والمتناثرة في إطار وهيكل الترتيب.

- استخلاص النتائج وكتابة تقرير البحث:

وهي مرحلة ربط الحقائق التاريخية بواسطة علاقات حتمية وسببيه قائمة بينها، أي عملية التعليل التاريخي، وهي مرحلة البحث عن التعليلات المختلفة، فعملية التركيب والبناء والاستعادة التاريخية لا تتحقق بمجرد تجميع الوثائق التاريخية بل تكمن في البحث والكشف والتفسير والتعليل عن أسباب الحوادث وعن العلاقات الحتمية وتنتهي عملية التركيب والتفسير التاريخي باستخراج وبناء النظريات والقوانين العلمية والثابتة في الكشف عن الحقائق العلمية والتاريخية وتفسيرها وتقريرها.

المنهج التجريبي:[1]

المنهج التجريبي قد أحدث منعرجا هاما في تاريخ العلم، مما دعا البعض إلى القول بأن العلم الذي لا يخضع للتجربة ليس بعلم، وعليه فما هو مفهوم المنهج التجريبي؟ وما هي أسسه ومراحله؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال العناصر التالية:

العنصر الأول: مفهوم المنهج التجريبي.

العنصر الثاني: أسس المنهج التجريبي ومراحله.

[1]- نفس المرجع، ص145.

- مفهوم المنهج التجريبي.

توجد عدة تعريفات للمنهج التجريبي من بينها:

المنهج التجريبي يقوم أساسا على أسلوب التجربة العلمية التي تكشف عن العلاقات السببية بين المتغيرات المختلفة التي تتفاعل مع القوى التي تحدث في الموقف التجريبي. البحث التجريبي هو ذلك النوع من البحوث الذي يستخدم التجربة في اختبار فرض معين يقرر علاقة بين عاملين أو متغيرين وذلك عن طريق الدراسة للمواقف المتقابلة التي ضبطت كل المتغيرات ماعدا المتغير الذي يهتم الباحث بدراسة تأثيره.

- أسس المنهج التجريبي ومراحله.

يتضمن المنهج التجريبي جملة من الأسس والمقومات يخلط البعض بينها وبين المراحل والتي يمكن أن تتشابه في الألفاظ ولكنها تختلف من حيث المضمون أو الهدف. وعليه سنبين في الفرع الأول أسس ومقومات المنهج التجريبي وفي الفرع الثاني نحدد مراحل أو الخطوات المتبعة أثناء استخدام المنهج التجريبي.

- أسس ومقومات المنهج التجريبي:

يتألف المنهج التجريبي من ثلاث مقومات أساسية هي: الملاحظة أو المشاهدة، الفرضيات العلمية، التجريب.

أ) الملاحظة أو المشاهدة العلمية:

الملاحظة العلمية هي الخطوة الأولى في البحث العلمي، وهي من أهم عناصر المنهج التجريبي وأكثرها أهمية لأنها المحرك الأساسي لبقية العناصر، والملاحظة في معناها العام الواسع هي الانتباه العفوي إلى حادثة أو واقعة أو ظاهرة دون قصد أو سابق إصرار وتعمد أو إرادة، أما الملاحظة العلمية فهي المشاهدة الحسية المقصودة والمنظمة والدقيقة للحوادث والأشياء والظواهر بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها

ونظرياتها عن طريق القيام بعملية النظر في هذه الأشياء وتعريفها وتوصيفها وتصنيفها في أسر وفصائل، كل ذلك يتم قبل عملية وضع الفرضيات والتجريب.

ب) **الفرضيات العلمية**:

الفرضية أو الفرضيات تعني لغة تخمين أو استنتاج أو افتراض ذكي في إمكانية صحة تحقق واقعة معينة أو عدم تحققها ومن ثم استخراج النتائج تبعا لذلك أو هي اقتراحات ونتائج تتطلب الفحص والاختبار والتجريب للتأكد من مدى صحتها. أما الفرضيات اصطلاحا فهي التفسير المؤقت لوقائع وظواهر معينة لا تزال بمعزل عن الامتحان، وبعد امتحانها تصبح قوانين تفسر الظاهرة. وقد تكون أسباب ومصادر نشأة الفرضيات خارجية أو داخلية في ذهن الباحث بحسب طبيعة الظاهرة المدروسة. تلعب الفرضيات دورا حيويا وهاما في مجال استخراج النظريات والقوانين والتعليلات والتفسيرات العلمية للظواهر والوقائع والأشياء وهي تنبئ عن عقل خلاق وخيال مبدع وبعد النظر. ومن أهم العوامل المساعدة على خلق الفرضيات العلمية داخليا الجبرية والمثالية والتواصل والاستمرار الاتصال والتكرار. ومن شروط صحة الفرضيات يجب أن تبدأ من ملاحظات علمية، كما يجب أن تكون قابلة للتجريب والاختبار وأن تكون خالية من التناقض وأن تكون شاملة ومترابطة وكذلك متعددة ومتنوعة للواقعة أو الظاهرة الواحدة.

ج) **عملية التجريب**:

بعد عملية إنشاء الفرضيات تأتي عملية التجريب على الفرضيات لإثبات مدى سلامتها وصحتها، وإثبات صحة الفرضيات عن طريق عملية التجريب يتطلب عدة قواعد من بينها قاعدة تنويع التجربة وقاعدة إطالة التجربة وقاعدة نقل التجربة وكل هذه القواعد وضعها فرانسيس بيكون. وإذا ثبتت صحة الفرضيات علميا ويقينيا تتحول تلك الفرضيات قواعد ثابتة وعامة، ونظريات علمية تكشف وتفسر الظواهر وتتحكم فيها.

- مراحل وخطوات سير المنهج التجريبي.

للمنهج التجريبي ثلاث مراحل متسلسلة ومترابطة ومتكاملة وهي:

أ) **مرحلة التعريف والتوصيف والتصنيف**:

وهي مرحلة نظر ومشاهدة الظواهر والأشياء الخارجية والقيام بعمليات تعريفها ووصفها وتصنيفها في قوالب وأسر وفصائل وأصناف من أجل معرفة حالة الظاهرة الواقعة دون محاولة التجريب والتفسير.

ب) **مرحلة التحليل**:

والهدف من هذه المرحلة هو كشف وبيان العلاقات والروابط بين طائفة الظواهر والوقائع المتشابهة وذلك بواسطة عملية التحليل المعتمدة على تفسير الوقائع والظواهر بواسطة الملاحظة العلمية ووضع الفروض العلمية من أجل استخراج القوانين العلمية العامة المتعلقة بالظواهر المشمولة بالتجربة.

ج) مرحلة التركيب:

وهي مرحلة تركيب وتنظيم القوانين الجزئية لاستخراج القوانين الكلية والعامة منها في صورة مبادئ عامة أولية، يكون موثوق في صحتها وعلميتها.

المنهج الوصفي في البحث العلمي.[1]

يعتبر **المنهج الوصفي** هو أحد أهم مناهج البحث العلمي والتي تستخدم في الغالب بهدف وصف وشرح وصف ظاهرة معينة وعرضها بطريقة نقدية للحصول على النتائج أو تحديد الأسباب التي أدت لحدوثها. ستناول تعريف **المنهج الوصفي**، أنواعه، أهدافه، خطوات، مميزاته وعيوبه.

ما هو المنهج الوصفي؟

تشير كلمة "منهج" إلى الطريقة بينما تشير كلمة "وصفي" إلى السمات التي تميز الفرد أو الظاهرة. ويُعرف **المنهج الوصفي في البحث العلمي** على أنه أسلوب أو

[1]- نفس المرجع، ص52.

نمط يتم استخدامه لدراسة ووصف الظواهر و **المشكلات العلمية** وصف دقيق للوصول إلى التفسيرات المنطقية المبرهنة بهدف إتاحة الفرصة للباحث لوضع إطارات محددة للمشكلة واستخلاص عدد من الأسباب التي أدت لحدوث الظاهرة أو المشكلة.

- **أنواع المنهج الوصفي**

منهج دراسات العلاقات المتبادلة : **منهج الوصفي** يختص بدراسة الارتباطات بين الظواهر والتوجه نحو التدقيق في تفاصيلها وتحليلها لتحديد العلاقات الداخلية والخارجية بينها وبين غيرها من الظواهر الأخرى وينقسم إلى نوعين وهما:

منهج دراسة الحالة: القائم على دراسة الموضوعات الاجتماعية من خلال تجميع البيانات اللازمة وتحليلها وتطبيقها على الموضوعات والظواهر المشابهة للوصول إلى النتائج.

منهج الدراسات المسحية: يعتبر أحد المناهج الأساسية التي يتم استخدامها بشكل متكرر وأكثر شيوعاً من المناهج الأخرى لكونه **منهج الوصفي** أكثر شمولاً يهدف لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها لتصنيفها وتفسيرها للاستفادة منها مستقبلاً.

منهج دراسات النمو والتطور: هو **منهج الوصفي** يتناول العلاقات المتبادلة بين الظواهر مع تسليط الضوء على التغيرات التي تحدث بمرور الزمن، ويتضمن هذا المنهج طريقتين وهما الطريقة الطولية عبر وضع الملاحظات المنظمة وقياس المتغيرات، والطريقة العرضية التي تتم من خلال الملاحظة والقياس ثم تحليل البيانات التي تم تجميعها للوصول إلى النتيجة النهائية.

يهدف المنهج الوصفي إلى:

- **تجميع البيانات** اللازمة للإجابة عن التساؤلات المطروحة حول الظاهرة محل الدراسة باستخدام أدوات مثل **الاستبانة والملاحظة والمقابلة**.[1]
- تناول الظاهرة بصورة مفصلة لكي يسهل استيعابها.
- التركيز على وصف الظاهرة نفسها دون التأثر بعوامل أخرى.

[1]- نفس المرجع، ص56.

- التعميم بهدف استخلاص أحكام ونتائج نهائية لتطبيقها على كافة جوانب الظاهرة المدروسة وما يشابها.

- **خطوات المنهج الوصفي**

- تجميع البيانات اللازمة للنظر إلى الظاهرة بشكل عام.
- تحديد مشكلة البحث.
- تدوين الافتراضات والملاحظات.
- تحديد عينة البحث.
- الاستعانة بالمراجع والمصادر الملائمة.
- تبني بعض أدوات جمع المعلومات مثل المقابلة، **الاستبيان**، الاختبار أو **الملاحظة**.
- تصحيح ومعالجة المعلومات بطريقة دقيقة.
- تفسير وتحليل النتائج بطريقة صحيحة وتوضيح دورها في إثراء المعرفة العلمية.

- **مميزات المنهج الوصفي**

- عدم تأثير خبرات وتجارب الباحث على **نتائج البحث**.
- تعزيز روح المشاركة بين **الباحث** والمبحوث من خلال عقد العديد من المقابلات لتجميع المعلومات المتعلقة **بمشكلة البحث** بطريقة مباشرة والتركيز على مدى انعكاس وتأثير الظاهرة على المبحوثين.
- يساعد **المنهج الوصفي** على تطوير مهارات **الباحث** وخبراته وتحسين قدرته على معالجة المشكلات وإيجاد حلول وبدائل بسهولة.
- يعتبر أحد الأساليب الهامة والناجحة في تجميع البيانات والمعطيات الكمية والرقمية.

- **عيوب المنهج الوصفي**

- صعوبة استخدامه في تحليل ووصف جميع الظواهر.
- لا يعطي **المنهج الوصفي** للباحث المرونة الكافية لفهم المشكلة أو الظاهرة المعروضة بشكل كامل.
- إمكانية تحيز الباحث في نتائج البحث نتيجة لعدم استخدام التحليل الإحصائي في اختبار الظواهر.

المنهج الوصفي الذي يعتبر أحد أهم مناهج البحث العلمي. و**المنهج الوصفي** هو منهج بحثي يستخدم لوصف ظاهرة معينة بأسلوب مجرد دون الاستعانة بمتغيرات أو عوامل أخرى وهو أداة تستخدم لمواجهة المشكلات وتحويلها إلى تقارير يتم تحليلها حسب المنهجية المستخدمة.

المنهج المقارن.[1]

المقصود "بالمنهج الطريقة التي يتبعها العقل في دراسة موضوع ما والوصول إلى قانون عام أو مذهب جامع أو هو فن ترتيب الأفكار ترتيباً دقيقاً، بحيث يؤدي إلى كشف حقيقة". وقد تعددت المناهج التي يمكن للباحث أن يتبعها فمنها التاريخي والوصفي و التجريبي ..... والمقارن والذي هو موضوع درسنا والذي من خلاله سنتعرف على المقصود بالمنهج المقارن وظهوره التاريخي وأنواعه وسنعرج على خطواته.

تمتد الأصول المقارنة إلى العصر القديم، وإن لم تتخذ الطابع الذي تتسم به حالياً فقد طبق (أرسطو) طريقة المقارنة في مجتمعات معاصرة له تطبيقاً محلياً وعبر الأقاليم ليشمل القارات فتبين له من خلال المقارنة أن هناك ظواهر متشابهة في مجتمعات معينة في أسيا مثلاً وظواهر متشابهة خاصة بمجتمعات أخرى في مناطق البرودة في أوروبا ,كما استخلص وجود ظواهر خاصة داخل كل قارة كما قام (ابن خلدون) باستخدام المقارنة حيث قارن بين ألوان البشر في المناطق الحارة وبين ألوان أقرانهم في المناطق المعتدلة أو الباردة.كما يقارن (ابن رشد)بين كفاءات الرجال والنساء في خدمة المجتمع واستنتج أن النساء لديهم قدرات معينة شبيهة بالرجال ولكن الرجال يتحملون العبء الأكبر من العمل وأرجع سبب إرهاق الرجال بالكثير من الأعمال أن المجتمع لم يساوي بين الرجل والمرأة وبالتالي كان العبء الأكبر على الرجل. كما استخدم المنهج المقارن في الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية والاجتماعية.

[1]- محمد عبد الباسط حسن، **أصول البحث الاجتماعي**، مرجع سابق، ص124.

المقارنة وهي المقايسة بين ظاهرتين أو أكثر ويتم ذلك بمعرفة أوجه الشبه والاختلاف؛هي عملية عقلية تتم بتحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين حادثتين اجتماعيتين أو اقتصاديتين .....أو أكثر تستطيع من خلالها الحصول على معارف أدق نميز بها موضوع الدراسة أو الحادثة في مجال المقارنة والتصنيف، وهذه الحادثة يمكن أن تكون كيفية قابلة للتحليل أو كمية لتحويلها إلى كم قابل للحساب وتكمن أهميتها في تمييز موضوع البحث عن الموضوعات الأخرى، وهنا تبدأ معرفتنا له، وبشكل عام يمكن القول أنها تشمل على إجراء مقارنة بين ظاهرتين اجتماعيتين أو اقتصاديتين أو طبيعيتين ... بقصد الوصول إلى حكم معين يتعلق بوضع الظاهرة في المجتمع، و الحكم هنا مرتبط باستخدام عناصر التشابه أو التباين بين الظاهرتين المدروستين أو بين مراحل تطور ظاهرة ما، وبالتالي فالمقارنة نوع من البحث يهدف إلى تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر أو بالنسبة لظاهرة واحدة ولكن ضمن فترات زمنية. بالرغم من أن المنهج المقارن هو منهج مستقل بحد ذاته ولكن معظم الدراسات المقارنة لا يمكن أن تتم دون الاعتماد على مناهج أخرى مساندة مثل المنهج التحليلي حتى أن الكثير من الباحثين يقيمون دراساتهم على منهج يطلق عليه المنهج التحليل المقارن دلالة على اعتماد المقارنة على بيانات تحليلية ويمكن أن يعتمد على المنهج التاريخي للمقارنة أو المنهج التجريبي.

إن البعض ذهب إلى أن المنهج المقارن "هو منهج شبه تجريبي يختبر كل من العناصر الثابتة والعناصر المتغيرة لظاهرة ما، في أكثر من مجتمع أو أكثر من زمان.- طرق استخدام المنهج المقارن: هناك عدة طرق يمكنك من خلالها استخدام المنهج المقارن في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومن أهم هذه الطرق:

طريقة الاتفاق:

وهذا الطريقة يتم استخدامها إذا كان هناك عامل مشترك واحد فقط هو المتسبب في حدوث الظاهرة المراد دراستها ولا تحدث الظاهرة بدونه، فعلي سبيل المثال إذا

كان هناك مرض جلدي يؤدي إلي وفاة النساء فأن العامل المشترك هو استخدامهم للكريم تجميلي واحد، وهذا الكريم تجميلي يحتوى على المادة سامة.

طريقة الاختلاف:

واكتشف هذه الطريقة العالم ستيوارت، والذي كان يري أنه في حالة وجود مجموعتين أو أكثر تشترك في نفس الصفات ماعدا صفة واحدة فقط، فيكون الفرق بينهم تلك الصفة المختلفة.

الطريقة المشتركة:

وهذه الطريقة تجمع بين طريقتي الاختلاف والاتفاق معاً، فحين يقوم الباحث باستخدام طريقة الاتفاق، فهذا يعني انه استطاع الوصول إلي العامل المشترك، ولكن في حالة استخدامه للطريقة الاختلاف فهذا يعني أن الباحث قد عثر على الدليل الذي يثبت أن هذه النظرية لا يمكن حدوثها إلا في وجود هذا العامل المشترك.

طريقة التغيير النسبي:

من طبيعي وجود علاقة بين السبب والمسبب في جميع الظواهر التي نقوم بدارستها، فإذا حدث أي تغير في السبب، يترتب عليه حدوث تغير في المسبب أيضاً.

طريقة العوامل المتبقية:

وتتوقف هذه الطريقة على مدى إدراك الباحث لجميع جوانب الظاهرة، وبالتالي تمكنه من معرفة المعلومات المتبقية من الظاهرة أو الأمور غامضة بسهولة.

- مميزات في المنهج المقارن:

يعتبر المنهج المقارن هو الأداة الأفضل في البحوث الاجتماعية، فهو يساهم في مقارنة المجتمعات في أزمنة وأماكن مختلفة، ومدى تغير الظاهرة ما تبعاً لتغير ظاهرة

أخرى. يمكننا القول أن المنهج المقارن ساعد بدرجة كبيرة في تطور العلوم الاجتماعية والسياسية، حيث تم استخدامه في تصنيف الأنظمة السياسية مثل النظام الجمهوري أو الملكي أو الاستبدادي، ويعتمد في تصنيفه على الممارسات المتابعة داخل النظام، سواء كان نظام يتبع الرأسمالية أو الاشتراكية، و بالتالي فالمنهج المقارن مرتبط بشكل كبير بالمناهج الأخرى، كي يصل إلي نتائج هامة ويمكن الاستفادة منها.

- عيوب المنهج المقارن:

فبرغم من المميزات التي تقترن بالمنهج المقارن، إلي أنه هناك عدة صعوبات يتم مواجهتها في المنهج:

- قد يكون هناك صعوبة في تحديد بعض المفاهيم الأساسية التي تأخذ الطابع العام.

- أنه لا يستطيع تحديد الوحدة الطبيعية للمقارنة مثل وحدة الدولة.

- عدم القدرة على تحديد صفات الظاهرة التي تخضع للمقارنة.

كما يقول ناقدي المنهج المقارن أن النظم الاجتماعية متشابهة في الظاهرة ما قد تتسم بالاختلاف في المجتمعات أخري، وكذلك اعتماد المنهج المقارن على سطحية الظاهرة بمعني الاهتمام بالقشور الظاهرة وليست الاهتمام بجوهر الظاهرة وداخلها، ولكن برغم من هذه الصعوبات لا يمكننا تجاهل القيمة العلمية للمنهج المقارن.

رابعا- استخدامات المنهج العلمي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية:

تتمثل مشكلات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية أساسا في مشكلة "العلمية"، وهي ناتجة عن إمكانية إخضاع الظواهر الاجتماعية الإنسانية للمنهج العلمي.

وقد برز في هذا الصدد فريقان متعارضان، يذهب الأول منهما إلى إمكانية الدراسة العلمية للمجتمع بمختلف ظواهره، بينما يؤكد الثاني على استحالة ذلك، ولكل منهما حججه وأمثلته التدعيمية. فالاتجاه الأول ذهب إلى أن إخضاع الظواهر

الاجتماعية للدراسة العلمية من خلال الاستعانة بالمنهج العلمي المستخدم في حقل العلوم الطبيعية سيقود إلى استيعاب أكثر دقة وشمولا لهذه الطائفة من الظواهر، وكذا إلى فهم جيد لها، وتطوير أنساق للتفسير والتنبؤ أكثر عمقا، وإذا كنا أقل تفاؤلا وسلمنا بأنه يصعب علينا التوصل إلى أسلوب يمكننا من التنبؤ بالظاهرة، فإن الفهم والتفسير الجيد لها سينمي مستقبلا معارف جديدة قد تقود إلى آفاق علمية أكثر رحابة. وبالتالي بدل أن تبقى الظواهر الإنسانية أسيرة للانطباعات الذاتية، والتصورات الشخصية، والأحكام العامة، فلنخضعها للمنهج العلمي. [1]

وفي المقابل يذهب أنصار الاتجاه الثاني إلى أن الظاهرة الإنسانية على درجة كبيرة من التعقيد والخصوصية تمتنع معها كل محاولة إخضاع للمنهج العملي بطبعته المعروفة في العلم الطبيعي، ذلك الذي يقوم في أخص خصائصه على الملاحظة والتجريب المعملي. وفي هنا الصدد، يقول "بتريم سوروكين" "إنني لا أستطيع أن أدرك كيف يمكن أن نعرف إجرائيا وأن ندرس علميا ظواهر مثل : الدولة، والأمة، والنزعة الكلامية أو الرومانسية في الفنون الجميلة، والقصص الكوميدية، والحب والكراهية، أو التاريخ الماضي للإنسان، فالحدث التاريخي لا يمكن أن يعاد وجوده في أي وضع إجرائي حاضرا أو مستقبلا".

إن هذا التباين في الرأي ناتج في الغالب عن جملة من القضايا والإشكالات التي صاحبت نشأة العلوم الإنسانية وتطورها التاريخي.

ولعل أهم هذه الإشكالات مشكلة العلمية:

إنه لمن المهم والأساسي قبل القيام بأي نوع من المقارنة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية أن نعرض مفهوم العلمية، باعتباره بؤرة الجدل الدائر بين المتخصصين حول مدى علمية العلوم الإنسانية، فكما هو معلوم في تاريخ العلم الحديث أن المواضيع الإنسانية والاجتماعية كانت آخر المجالات التي خضعت للدراسة العلمية، بعدما كانت مجالا للدراسة الميتافيزيقية. وقد تأسست دعاوى العلمية لدى الاجتماعيين، نتيجة تأثرهم بما حصل في مجال العلوم الطبيعية من تقدم مغر. وقد ترسخ في أذهان

[1]- محمد عبد الباسط حسن، نفس المرجع، ص124.

كثير منهم كنتيجة لذلك أن علمية أي حقل معرف ناشئ مرهونة أساسا باستخدامه للكيفيات والمناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية، فما دام المنهج العلمي القائم على التجريب قد حقق لهذه الأخيرة تقدما واضحا، فإنه يمكن من خلال المنهج نفسه أن يتحقق تقدم الإنسانيات. فأصبح المنهج التجريبي والنموذج الطبيعي للعلم، إطارا مرجعيا ينبغي أن تعتمده العلوم الإنسانية إذا أرادت أن تتحقق لها صفة العلمية.

فكانت النظرة التي وجهت مفهوم العلمية تكمن في التخلص من كل تفكير باعتباره لاهوتيا أو أسطوريا مناقضا للنظام العلمي، وبذلك وضعت العلوم الإنسانية أمام الخيار الصعب بحيث فرض عليها النموذج الطبيعي كطريق وحيد لتحقيق علميتها، وكل خروج على هذا الطريق يفقدها مصداقيتها العلمية، وبذلك تحولت النزعة العلمية من أسلوب في البحث عن الحقائق إلى اعتقاد في العلم التجريبي كطريق وحيد للمعرفة". ففرض بذلك عند الكثيرين هذا المسلك الطبيعي التجريبي على العلوم الإنسانية، بينما رفضه آخرون رفضا مطلقا أو نسبيا.

وعلى أساس ما تقدم يمكن **أن نجد التصورات الثلاثة الآتية**:

أ- التصور الذي يؤكد علمية العلوم الإنسانية ويطبق عليها مناهج العلوم الطبيعية:

قد أثمر هذا التصور أزمة في حقل العلوم الإنسانية وعلم الاجتماع على الخصوص، فبعد أن كنا نتحدث عن أزمة المجتمع أصبحنا نتحدث عن أزمة العلوم الإنسانية.

إن هذا المسلك قد حصر دراسة الظاهرة الاجتماعية والإنسانية في جوانبها الملموسة (السلوك الواقعي) وأهمل أخص خصائص هذه الظواهر وهي الوعي والاختيار.. ففي حقل علم الاجتماع مثلا، يؤكد "جورج لندبرغ (George.A.Lundberg) "على ضرورة أن تحذو مناهج علم الاجتماع حذو مناهج علم الطبيعة

الفيزياء) من حيث اهتمامها بالتجريب والقياس الدقيق، يقول بعدم وجود فوارق جوهرية بين الظواهر الطبيعية والسلوك الاجتماعي وأن كليهما يمكن دراسته بالدرجة نفسها من الموضوعية التي يدرس بها الآخر.[1]

[1]- موريس انجرس، مرجع سابق، ص120.

وقد تجلى تأثر أنصار هذا المسلك بهذا التصور في جهودهم البحثية الكثيرة، تلك التي تمحورت حول الولع بعقد المقارنات والمماثلات العضوية بين الطبيعة والمجتمع، أو بين الكائن الإنساني والكائن البيولوجي...واستعارة المفاهيم والمصطلحات الحيوية والفيزيائية واستخدامها في دراسة وتفسير ظواهر المجتمع الإنساني، فليس غريبا عنا أن نسمع مصطلحات وتسميات من قبيل الفيزيقا، والفيسيولوجيا، والمورفولوجيا، والاستاتيكا والديناميكا، ثم تضاف لها اللازمة المعروفة وهي كلمة اجتماعي (Social) ليعرف المهتم (القارئ مثلا) بأن الحديث متعلق بالمجتمع وقضاياه ومشكلاته، هذه الأخيرة التي تعرض له بلغة العلوم الطبيعية باعتبارها الأنموذج المحتذي.

ب- التصور الذي يؤكد عدم علمية هذه العلوم ويحكم بتخلف مباحثها عن مباحث العلوم الطبيعية: ينبني هذا المسلك على التساؤل الذي مفاده: هل يمكن أصلا قيام علوم إنسانية ؟ والإجابة الأنسب حسب أنصار هذا المسلك هي: لا، وهذه الإجابة عادة ما تستند في إنكارها لإمكانية العلوم الإنسانية، على أساس من التسليم المبدئي بأن العلم لا يكون إلا في صورة العلم الدقيق الذي يتحول إلى صورة أسق رياضي يخلو من آية ألفاظ كيفية، ولا يتحدث إلا بالرموز والأعداد.

فما دامت هذه المباحث لا يمكنها أن تستخدم المنهج التجريبي واللغة الرياضية في دراسة الظواهر التي تدخل من سياقها، فلا يمكن أن تكون هذه المباحث مجالات لما نطلق عليه صفة العلم.

ج - التصور الذي يؤكد علمية العلوم الإنسانية:

قد بدأ هذا التصور في التبلور بعد الأزمة التي عرفتها العلوم الإنسانية، إذ أصبح الكثير من العلماء يعترفون بالاختلافات الواضحة بين الظواهر الطبيعية التي تعتبر موضوعا للعلوم الاجتماعية والإنسانية، على أساس أن الأولى هي موضوعات دراسية تسعى للوصول إلى قوانين عامة حول ظواهر تتصف بصفات خاصة كالتكرار والاطراد ويمكن توقعها، أما الثانية (الظواهر الاجتماعية) فهي موضوعات علمية تسعى لإدراك الخصائص الفردية لموضوعاتها.

إن الإقرار بوجود اختلافات بين ظواهر الكون المادي وظواهر الاجتماع الإنساني يستلزم إقرارا باختلاف المنهج والأدوات من حيث التي تستخدم في دراسة هذين القطاعين المتمايزين. وهكذا نصل إلى نتيجة مؤداها: أن نفي إمكانية استخدام المنهج العلمي (بطبعته التجريبية) والنموذج الطبيعي في نطاق العلوم الاجتماعية والإنسانية، لا ينفي صفة العلمية عن هذه الأخيرة، لأن استخدام المنهج التجريبي و"اصطناع اللغة الرياضية في صياغة الفروض والاستدلالات والأنساق العلمية ليس في حد ذاته هدفا، بل هو وسيلة الضبط، والتي تواءمت تواؤما كاملا مع موضوع الفيزياء، ودرجة تقدمها، ولكن إن تعذر عليها التواؤم مع موضوع البحث (في العلوم الاجتماعية) وأمكن تحقيق الضبط لدرجة كافية بوسائل أخرى فلا ينبغي أن نتشبث بالوسيلة (اللغة الرياضية) إلى الدرجة التي تلهي عن الغاية".

خامسا- المنهج العلمي بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية :

الدراسات الاجتماعية أو الإنسانية تتطلب منهجًا علميًّا ذا طابع مُغاير للمناهج العلمية التي تُستخدم في مُعالجة البحوث في العلوم الطبيعية، فهي إشكاليات ترتبط بالخصائص والسلوك والتوجهات في المقام الأول، ومن الصعب قياسها بشكل كمِّي، والبيانات التي يقوم الباحث بجمعها في تلك الحالة بيانات اسميةNOMINAL، مثل الجنس البشري: ذكر، أو أنثى، ولا تُوجد أفضلية في الترتيب، أو ترتيبية ORDINAL، مثل: تقديرات الدراسة في الجامعات (ضعيف/ مقبول/ جيد/ جيد جدًّا/ ممتاز)، وغير ذلك من الأمثلة.

يطرح البعض إشكالية خضوع العلوم الإنسانية لقواعد المنهج، وهذا يطرح من جهة أخرى مدى علمية العلوم الإنسانية بالمعنى الدقيق للعلم، ففي السابق لم يتقبل العلماء تطبيق المناهج العلمية في مجال العلوم الإنسانية فقد كان البعض ينظر إلى هذه العلوم بأنها ليست علوما كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية، إلا أن هذا الأمر من جهة أخرى يطرح خصوصية العلوم الإنسانية وتعقد ظواهرها، وعدم تجانسها وعدم ثباتها وصعوبة استخدام التجريب في هذا المجال بالإضافة إلى ضعف الموضوعية في

مجال الدراسات الإنسانية نظرا لاتصالها بالإنسان موضوع الدراسة، ويمكن ذكر الأسباب التالية:

أ- تعقيد الظواهر الإنسانية:

تتعلق الظاهرة الإنسانية بعناصر متعددة ومعقدة، مثل العناصر الجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية بالإضافة إلى المعتقدات والعادات والأعراف من خلال كل ذلك يجد الباحث نفسه في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية أمام تنوع كبير ومتغيرات كثيرة تتدخل الظاهرة الإنسانية ويزيدها تعقيدا.

وإذا كان من خصائص العلم هو السببية والتعميم بالنسبة كنتائج التي تنتج من نفس الأسباب فإن الأمر بالنسبة للعلوم الإنسانية معقد جدا، لدرجة أننا نجد صعوبة كبيرة في تحديد هذه الأسباب بالكامل.

ب-عدم تجانس الظاهرة الإنسانية:

يقوم البحث العلمي على فرضية التجانس أو فرضية وحدة الطبيعة، والظواهر الطبيعية نتيجة تشابه بعضها يمكن تقسيمها إلى فئات متجانسة واستخراج القوانين التي تحكم كل فئة على حدا.لكن الظواهر السلوكية ظواهر فردية ويصعب تكرارها ومن ثم من الصعب أن نحصل على تعميمات.

جـ- ديناميكية الظواهر السلوكية:

نتيجة لسرعة تغير الظاهرة الإنسانية والسلوكية، فإن الباحث قد يجد نفسه في الوقت الذي يدرس

فيه الظاهرة السلوكية الإنسانية أنه يدرس الظاهرة من الناحية التاريخية وليس دراستها في الوقت الراهن لأن ثمة تغير حدث للظاهرة المدروسة.

د-عدم القدرة على استخدام التجريب في مجال الظاهرة الإنسانية:

إذا كانت التجربة من ركائز البحث العلمي، فإنها في مجال العلوم الإنسانية لا مكان لها، فالظاهرة الإنسانية ظاهرة سلوكية لا نستطيع إخضاعها للتجريب، فهي ظاهرة معنوية غير ملموسة.وقد بدأ الباحثون في مجال علم النفس محاولة استخدام التجريب الدراسات النفسية إلا أن ذلك يبقى محدودا جدا.

ه- صعوبة التقيد بضوابط الموضوعية في مجال الدراسات الإنسانية:

إن الموضوعية هي من خصائص العلم والبحث العلمي وقد يحاول الباحث في مجال العلوم الإنسانية أن يتقيد بضوابط الموضوعية، إلا أنه يجد نفسه أحيانا في اتجاه فكري معين، وقد تجعل الباحث يوصف بأنه متحيز إلى تيار معين، مثل الاتجاه الاشتراكي أو الاتجاه الليبرالي، أو غير ذلك[1].

إن دراسة الباحث الاجتماعي لظاهرة إنسانية معينة تجعله يسعى لتحقيق نتائج في البحث تتوافق مع معتقداته وذاتيته أي مع عواطفه وأحاسيسه وغير ذلك، في حين أن الأمر في مجال العلوم الطبيعية يجعل من الظاهرة المدروسة ظاهر ومادية موجودة خارج فكر ووعي الإنسان وهنا يجد نفسه يتعامل معها بكل حياد.

من خلال كل ما تطرقنا له، نلاحظ أن الظاهرة الإنسانية هي ظاهرة معقدة وصعبة التعامل معها من خلال ذلك اعتبر بعض العلماء أن العلوم الإنسانية لا يمكن أن نطبق عليها المنهج العلمي الذي يتميز بالتجريد والعموم والوصول إلى نتائج نستطيع تعميمها، ومن ثم فقد اعتبرها البعض بأنها لا ترقى إلى درجة العلم، والاعتقاد بعدم إمكانية تطبيق المناهج العلمية عليها.

إن تطبيق المنهج العلمي في دراسة المجتمع له خصوصياته التي تميزه عن العلوم الطبيعية؛ فالإنسان موضوع البحث، ليس جمادا؛ بل كائنا حيا له مشاعره، وأحاسيسه التي لا يمكن دائما التنبؤ بها، كما أن الباحث الاجتماعي لكونه جزء من المجتمع فإنه يواجه تحديا في التعامل بموضوعية مع قضايا تهمه، وتمس وجوده، وانتمائه؛ بالإضافة إلى الالتزام بالحقيقة في مجال البحث الاجتماعي له محاذيره خصوصا في المجتمعات التي تضع قيودا على حرية الرأي والتعبير.

ويمكن القول بصفة عامة أن العلم هو في الأساس موجه إلى دراسة طبيعية، ويشتمل هذا المصطلح على العالم الفيزيقي وكذا عالم الأحياء، وبكلمات أخرى، فإن كل ما هو موجود أو منتج دون تدخل من طرف الإنسان يمثل ما نسميه بالطبيعة، أما الفروع الخاصة مثل: الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا فقد وضعت أصلا لدراسة هذه

[1]- نفس المرجع السابق، ص124.

الطبيعة، وسواء سميت بالعلوم الطبيعية أو الدقيقة، أو مجرد علوم، فإنها حاليا تسمى بعلوم الطبيعة.

هناك فروع أخرى متصلة بها مثل: الفلك والجيولوجيا، وأخرى جديدة تكونت عن طريق ما يسمى بالتوأمة مثل: الفيزياء الفلكية، والكيمياء العضوية. لقد مثلت علوم الطبيعة طريقة عمل يحتذى بها، لم تفتأ تتطور وتنمو بشكل معتبر إلى يومنا هذا، من جهته، يعتبر الإنسان موضوع دراسة لها خصائصها ومميزاتها العلمية، والهدف من مثل هذه الدراسات التي تجري في مختلف فروع العلوم الإنسانية هو معرفة وفهم الإنسان ومعنى أو دلالة أفعاله.

تشتمل هذه العلوم التي كانت تسمى في السابق بعلوم الإنسان، ثم لاحقا بالعلوم الاجتماعية، خاصة في العالم الأنجلوسكسوني على فروع عديدة تقوم بدراسة الإنسان من جوانب متعددة: ففي علم النفس مثلا فإن التركيز يكون بصفة خاصة على الظواهر النفسية، أما في علم الاجتماع؛ فإننا سنبحث عن تفسير الظواهر الاجتماعية، أما في التاريخ فإننا سنقوم بدراسة الأحداث والوقائع الماضية، أما العلاقات السياسية والاقتصادية والإدارية فإنها ستكون موضوع اهتمام فروع علم السياسية وعلم الاقتصاد والإدارة.

أ- طرق عملها: لكي نفهم طريقة عمل علوم الطبيعة فهما جيدا لابد أن نضع في أذهاننا أنها تتعامل مع الأشياء المادية؛ فهي تحاول اكتشاف العلاقات بين الظواهر أو الأشياء المادية، ولملاحظة هذه الظواهر والأشياء بكيفية جيدة تستعمل هذه العلوم أدوات متطورة إلى حد كبير، إن بعض هذه الأدوات مثل المجهر يساعد في تبسيط معاني هذه الأشياء ومكوناتها، وتّمكن الملاحظ من رؤية أدق حتى لأصغر الأجسام التي تتركب منها، والتي يستحيل علينا رؤيتها بالعين المجردة، كما يسمح لنا جهاز الأوديومتر (Audiomètre) بقياس الأصوات التي يتعذر علينا سماعها في الحالات العادية. إن هذه الأدوات والأجهزة الخاصة سمحت لعلوم الطبيعة بتنمية تجاربها وتطويرها، وذلك بالعودة الدائمة إلى التجربة.

وبعبارة أخرى، فإننا نثير موضوعا أو ظاهرة بهدف دراستها (أو إعادة دراستها)، وبالرجوع عموما إلى المخبر الذي يمكننا من خلق شروط إنتاج هذه الظاهرة ومعالجة عناصرها، هكذا تصبح المادة والأداة والتجربة عناصر يتغذى منها نموذج البحث في علوم الطبيعة، هذا الأخير يوفر شروطا مثالية لتكرار التجربة كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

إن العلوم الإنسانية لها هي الأخرى طريقة عملها؛ ولفهمها لابد أن نضع في أذهاننا أننا بصدد دراسة كائنات بشرية، إن القضية هنا تختلف عما هي عليه في علوم الطبيعة، ذلك أننا هنا نتعامل مع كائن يتحدث، يتجاوب ويتفاعل مع أمثاله، ويمتلك وعيا ومقدرة على التعلم والفهم، لهذا فالتعامل مع "الموضوع" هنا ينبغي أن يكون مصحوبا بحذر وعناية كبيرين، فقبل الشروع في دراسة هذا الكائن البشري، مثلا لابد من طلب إذنه؛ حيث يمكن أن يعارض ذلك أو يقبله، وكذلك فإن استعمال أدوات البحث لا يتم عادة إلا بموافقة الأشخاص موضوع الدراسة. إن هذا الاستعمال لأدوات البحث (Instrumentation) يمكن أن يأخذ أشكالا خاصة، ومنها إمكانية استجواب هذا الموضوع وهو الكائن البشري. إن العلوم الإنسانية ليست تقليدا أعمى لعلوم الطبيعة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار مميزات مواضيع كل منهما، وحتى وإن كانت مجالات النشاط محددة في إطار علمي، ومع كل ذلك فلا يوجد تعارض في الطريقة العلمية المتبعة في كلتا الحالتين ما عدا بعض الفروق التي لا مفر منها أثناء المعالجة الفعلية اعتبارا لخصوصيات كل موضوع.

ب- خصائصها المميزة : لكي نتعرف أكثر على الخصائص المميزة بين علوم الطبيعة والعلوم الإنسانية، لابد من اختبار خصائص موضوعيهما بحذر شديد، أول هذه الخصائص هي أن الكائن البشري يشعر بوجوده؛ في حين يظهر أن الموضوع (أو الكائن) المادي لا يدرك ولا يشعر بوجوده الخاص، زيادة على ذلك فإن الكائن البشري لا يستسلم بالضرورة لمن يقوم بدراسته، إنه يقوم بتعديل الوضع من تلقاء نفسه أثناء الدراسة.

يلي ذلك أن الكائن البشري يعطي معنى لما يحيط به، وبكلمات أخرى إنه يؤول وجوده، إلا أنه من غير المعقول أن يكون الأمر كذلك فيما يخص الكائن المادي أو الطبيعي؛ فمثلا ليس في مقدور حجر كبير أن يقاوم التحليل الذي نجريه عليه، أما الشخص فيمكنه أن يعارض التأويل الذي يقدمه طرف آخر حول أفعاله و سلوكياته .

يضاف إلى هذا وخلافا لممارس أو ممارسة علوم الطبيعة فإن الباحث في العلوم الإنسانية، هو من نفس طبيعة الموضوع المدروس (المبحوث)، ولهذا ينبغي علينا مضاعفة الحذر حول ما نقدمه أو ما نذكر به حول تجربتنا الشخصية، ذلك لأنها ليست بالضرورة هي نفس تجربة الآخرين، ولهذا ينبغي علينا أيضا تجنب الآخرين دوافعنا وحوافزنا الخاصة.

يضاف إلى ذلك أن الأشخاص أو الجماعات ليسوا صورا يطابق كل منها الأخرى، فكل شخص هو عبارة لتجارب أصلية يجعله في النهاية فريد من نوعه، باختصار هناك مجموعة من العوامل التي يمكن أن تتدخل في سلوك كل شخص وتصرفه، وهذا ما يجعل من مهمة مراقبة هذه العوامل مهمة صعبة للغاية، هذا ما يجعل الملاحظة في هذه الحالة أمرا معقدا منه لو تعلق الأمر بدراسة حيوانات من نفس الفصيلة أو دراسة عينتين من نفس المعدن، وإذا كان في إمكاننا بالنسبة إلى الحالة الأخيرة، إعادة إنتاج وتكرار التجربة كلما دعت الضرورة إلى ذلك لأن مكونات الموضوع ستظل هي عينها، فإن الوضعيات والمواضيع تتطلب سلسلة من المحاذير والشروط التي لا يمكننا المحافظة عليها دائما وبسهولة، وقد يكون هدفنا هو دراسة بعض السلوكات المحددة فقط، ولا تقبل بذلك إلا بعض العناصر وعن طواعية، ولهذا لا يمكن إعادة إنتاج عن طواعية وضعيات تمت دراستها، واعتبار ذلك كما لو أننا اشتغلنا حول مواضيع فيزيقية.

بعبارة أخرى، فإن العالم المادي أكثر بساطة من العالم الإنساني، فالعالم الفيزيقي لا يمكنه إنتاج نفسه، أما العالم الحي فيمكنه ذلك ولكن بدرجة أقل تعقيدا من الكائن البشري، لهذا فموضوع العلوم الإنسانية هو أكثر تعقيدا من موضع العلوم الطبيعية، حتى ولو كنا سواء في هذا الجانب أو ذاك، لا نزال بعيدين كثيرا عن النفوذ

إلى كل الأسرار، ذلك أن الكائن البشري يعطي معنى لأفعاله، وأن كل شخص هو ذات أو (هوية) أصلية؛ وبالتالي مظهرا من مظاهر تعقد الموضوع، والأكثر من هذا حتى وإن كان من الممكن أن يخضع الكائن البشري للقياس، فقياس أفعاله وتصرفاته ليس أمرا سهلا، كما هو حال الكائن المادي في علوم الطبيعة؛ في هذه الحالة الأخيرة، فإنه من الممكن استعمال مجموعة من الأدوات التي لا تمدد المعاني فقط ولكنها تمدنا بقياسات دقيقة للظواهر الأساسية المطلوب دراستها، أما في العلوم الإنسانية، فإذا كانت بعض الظواهر قابلة للقياس مثل حساب تكاليف المعيشة فهي ممكنة، لكن هناك ظواهر أخرى مثل الهوية الوطنية لا يمكن فهمها بالضرورة بواسطة قياسات كمية.

أيضا، إذا كانت العلوم الإنسانية تميل إلى التفسير، فإنها في كثير من الأحيان لا تسمح بالدراسة الدقيقة للعلل أو المسببات؛ في حين أن الأمر في علوم الطبيعة، وبفضل التجربة، منتشرا إلى حد كبير، ولهذا يمكننا إثارة ومراقبة الوضعيات التي تسمح لنا بدراسة الآثار التي تحدثها ظاهرة ما في ظاهرة أخرى، أما في العلوم الإنسانية فقد تتداخل عدة ظواهر؛ مما يجعل من الصعب؛ بل من المستحيل مراقبة الظواهر التي تسمح بعزل السبب أو الأسباب، وإذا كان من الممكن إعفاء بعض العوامل المفسرة لظاهرة ما، فإنه من النادر أن يحدث ذلك بالنسبة إلى علاقة بين سبب ونتيجة. في الأخير فإن العلوم الإنسانية قد وضعت نموذجا لتسهيل فهمها للظواهر يتم بواسطتها أخذ بعين الاعتبار المعنى الذي تعطيه الكائنات البشرية لسلوكاتها ضمن مجموع التأويلات.

وللمقارنة بين خصوصيات الموضوع في العلوم الإنسانية وخصوصياته في علوم الطبيعة أنظر الجدول الآتي: [1]

الموضوع في العلوم الإنسانية	الموضوع في علوم الطبيعة
.1 له وعي بوجوده . .2 يعطي معنى انفعاله. .3 إنه من نفس طبيعة الملاحظة. .4 غير ممكن إعادة إنتاجه. .5 معقد. .6 يقبل قياسه جزئيا. .7 يقبل بالتحليل التفسيري. .8 يقبل بالتحليل الفهمي.	.1 ليس له وعي بوجوده. .2 لا يعطي معنى لأفعاله. .3 ليس من نفس طبيعة الملاحظة. .4 يمكن إعادة إنتاجه. .5 بسيط. .6 يقبل القياس. .7 يقبل بالسببية. .8 لا يقبل بالتحليل الفهمي.

ما عدا هذه الخصوصيات توجد تشابهات بين مواضيع العلوم الإنسانية ومواضيع علوم الطبيعة؛ فالأرض مثلا قد عرفت تطورا بالضبط كما عرف الكائن البشري تطورا تاريخيا سواء بشكل فردي أو جماعي، فالموضوعان لهما إذا تاريخانية هكذا بعدما اعتقدنا ومنذ زمن طويل أن دراسة الإنسان هي وحدها التي مازالت عرضة للتداخلات بين الملاحظ والملاحظ فإننا نعرف الآن عن طريق نتائج بعض التجارب الفيزيائية حول الجزئيات أن حضور الباحث يؤثر في دراسة الظاهرة، يوجد إذن تفاعل بين الموضوع والباحث في كلتا الحالتين؛ وبالتالي ينبغي علينا دائما أن نعيد النظر ما أمكن في علاقتنا بالموضوع وذلك لكي نتجنب الخلط في معرفتنا الموضوعية التي نسعى إليها.

[1]- نفس المرجع، ص62.

خاتمة:

لكي نصل إلى الحقيقة العليمة يستخدم الباحث عددا من مناهج البحث وأدواته، كما يتبع عددا من الأساليب العلمية والتي تقوده إلى معرفة الحقيقة بكافة تفاصيلها، لكن يجب أن يكون الباحث حريصا على استخدام المنهج الذي يتناسب مع بحثه العلمي، وذلك لكي يخرج بحثه بنتائج صحيحة، حيث أن اختيار الباحث لمنهج خاطئ قد يؤدي إلى وصول الباحث إلى نتائج خاطئة، لذلك يجب على الباحث أن يكون مطلعا على كافة مناهج البحث العلمي وعالما بميزات وعيوب كل منهج منها وذلك لكي يكون قادرا على اختيار المنهج العلمي الصحيح .

قائمة المراجع:

1- اللحلح ومحمود مصطفى أبو بكر ، **كتاب البحث العلمي، تعريفه – خطواته – مناهجه – والأساليب الإحصائية**، الإسكندرية، الدار الجامعية،2002 .

2- رفيق حروش، **الاقتصاد السياسي**، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2011.

3- إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، **المدخل إلى علم الاجتماع**، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2005

4- موريس أنجرس، **منهجية البحث في العلوم الإنسانية**، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006

5- ريمون كيفي، **دليل الباحث في العلوم الاجتماعية**،تر: يوسف الجباعي، المكتبة العصرية لطباعة والنشر، بيروت،1997

6- صلاح الدين شروخ، **مدخل لعلم الاجتماع**، مصر، دار العلوم لنشر والتوزيع.

7- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع**، المكتب الجامعي الحديث،ط1985،1

8- دينكن ميتشل، **معجم علم الاجتماع**، تر: إحسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980

9- مجد الدين عمر خيري، **علم الاجتماع الموضوع والمنهج**، دار المجد اللاوي، عمان.

10- محمد عبد الباسط حسن، **أصول البحث الاجتماعي**، مكتبة وهبة، مصر، 1975.

11- معمر داود، **مدخل إلى علم الاجتماع** ،الجزائر، دار طليطيلة للنشر، ط2010،1.